العنوان:	موقف الخلافة العباسية من الدول المستقلة في المغرب بين القرنين الثاني و الرابع الهجريين 123 - 362 هـ / 740 - 973 م
المؤلف الرئيسي:	الخزاعلة، ياسر طالب راجي
مؤلفين آخرين:	الحتاملة، محمد عبده(مشرف)
التاريخ الميلادي:	2008
موقع:	عمان، الأردن
الصفحات:	1 - 197
رقم MD:	546384
نوع المحتوى:	رسائل جامعية
اللغة:	Arabic
الدرجة العلمية:	رسالة دكتوراه
الجامعة:	الجامعة الاردنية
الكلية:	كلية الدراسات العليا
الدولة:	الاردن
قواعد المعلومات:	Dissertations
مواضيع:	المغرب العربي، الدول المستقلة، الخارجون عن الخلافة العباسية، العصر العباسي
رابط:	http://search.mandumah.com/Record/546384



الفصل الثاني

دولـــــــــة الادارســـــــــــة

((172- 311 هـ / 788-923م))

▪ الأسباب التي أدّت إلى قيام دولة الأدارســـة :

في سنة 145هـــ ظهر محمد بن عبدالله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب (النفس الزكية) في المدينة، وخرج على الخليفة العباسيّ أبي جعفر المنصور، وكان محمد بن عبدالله بن الحسن يطالب بحقه في الخلافة، وقد ناصره أهل المدينة على ذلك[١].

ولما ورد خبر خروج محمد النفس الزكية على المنصور أراد المنصور من رجاله من يشير عليه بالرأي حول هذا الحدث، فأرسل إلى بديل بن يحيى بالكوفة (إذ كان السفاح يشاوره) فأشار عليه بشحن الأهواز بالجنود، لأنها الباب التي يؤتى منه الضعف[٢].

وقد حصلت مراسلات بين أبي جعفر المنصور ومحمد النفس الزكية، حول أحقية كل منهم بالخلافة، ففي الرسالة الأولى التي بعثها أبو جعفر المنصور إلى النفس الزكية أمنه على نفسه، وولده، واخوانه، وأهل بيته، وماله، وأن يعطيه ألف ألف درهم وأن ينزله من البلاد ما يشاء، إلا أن محمد النفس الزكية رفض ذلك، وقال للمنصور: (إنني أعرض عليك مثلما عرضت علي من الأمان، والنفس، والمال، والولد، والأهل)[٣].

وكان محمد النفس الزكية قد استعمل على مكة محمد بن الحسن بن معاوية بن عبدالله بن جعفر، والقاسم بن إسحاق على اليمن، وموسى بن عبدالله على الشام[٤].

وكان محمد النفس الزكية قد أرسل أخاه إبراهيم إلى البصرة لنشر دعوته[٥].

وخلاصة القول فإن أبا جعفر المنصور قد أرسل جيشاً بقيادة أخية عيسى بن موسى لقتال محمد بن عبدالله (النفس الزكية) والقضاء على حركته، وقد تخلى عنه أهل المدينة، وقتل محمد النفس الزكية بعد أن قاتل قتالاً عظيماً[٦].

وكان إبراهيم بن عبدالله أخو محمد النفس الزكية قد قتل في قرية باخمرى (وهي بلدة قريبة من الكوفة) على يد عيسى بن موسى إذ كان إبراهيم قد سيطر على الأهواز والبصرة، وفارس، لنشر دعوة أخيه محمد منذ عام 145هـــ[٧].

وقد كان العلويون ينتظرون الفرصة المناسبة للانقضاض على الدولة العباسيّة، والثأر منها، ففي ولاية موسى الهادي بن محمد المهدي بن أبي جعفر المنصور، خرج في المدينة الحسين بن علي بن الحسن (المثلث) بن الحسن (المثنى) بن الحسن (السبط) بن علي بن أبي طالب وكان معه جماعة من أهل بيته، ومنهم إدريس، ويحيى، وسليمان بنو عبدالله بن الحسن

---

(١) الطبريّ، تاريخ، ص430؛ ابن الأثير، الكامل ج5، ص2، 4؛ ابن الطقطقي، محمد بن علي بن طباطبا، الفخري في الآداب السلطانية، تح عبد القادرمحمد مايو، دار القلم العربي، حلب، ط 1، 1997م ، ص163. وسيشار إليه فيما بعد: ابن الطقطقي، الفخري.

(2) ابن الأثير، الكامل، ج5، ص4-5.

(3) الطبريّ، تاريخ، م4، ص430؛ ابن الأثير، الكامل، ج5، ص5.

(4) الطبريّ، تاريخ، م4، 427-428؛ ابن الأثير، الكامل، ج5، ص7.

(5) الطبريّ، تاريخ، م4، ص463-464؛ ابن الأثير، الكامل، ج5، ص7.

(٦) الطبريّ، تاريخ، م 4، ص453-454؛؛ ابن الأثير، الكامل، ج 5، ص10؛ الناصريّ، الاستقصا، ج 1، ص150.

(7) الطبريّ، تاريخ، م4، ص475-477؛ ياقوت، معجم البلدان، ج1، ص316؛ الناصريّ، الاستقصا، ج1، ص151.

(المثنى) هم إخوة محمد النفس الزكية، فحدث بينه وبين عامل الهادي على المدينة (عمر بن عبد العزيز بن عبدالله بن عمر بن الخطاب) قتال، فانهزم عامل الهادي، وبايع الناس الحسين على الكتاب والسنة كإمام مستور حتى يظهره الله(١).

وفي سنة 169هـ حصلت مواجهات بين أتباع الحسين بن علي بن أبي طالب وجماعة من بني العباس وأتباعهم كانوا قد حجوا، حيث اقتتلوا مع أتباع الحسين يوم التروية، فانهزم الحسين وأصحابه وقتل، وقد قطعوا رأسه وجمعوه مع رؤوس أصحابه، وأحضروه أمام الهادي، وكان مقتلهم بمكان يقال له فخ(*) (٢).

وكان قد اشترك في القتال في موقعة فخ مع الحسين عماه إدريس بن عبدالله ويحيى، وكان إدريس قد نجا من القتل في تلك الموقعة(٣).

وكان إدريس بن عبدالله قد فرّ من فخ، وذهب إلى مصر، وكان على بريدها إذ ذاك واضح مولى صالح بن المنصور (ويعرف بالمسكين)، وكان واضح يتشيع لآل البيت، الأمر الذي جعل واضحاً يساعد إدريس للهروب إلى المغرب(٤).

وكان مع إدريس لحظة دخوله على لمغرب مولاه راشد، وقد نزل إدريس مدينة ومولاه

وليلي(*) وهي من أعمال طنجة(*)، سنة 172هـ، وكان بها يومذاك إسحق بن محمد بن عبد الحميد أمير أوربة من بربر البرانس، فأجاره، وأكرمه، ودعا البربر لتبني دعوته، وخلع طاعة بني العباس(٥).

وسمع الرشيد بما فعله واضح مولى صالح بن المنصور عندما أدخل إدريس بن عبدالله، وساعده في دخول مصر، فقام الرشيد بقتل واضح(٦).

وكانت قبائل البربر وعلى رأسها أوربة قد اعتنقت دعوته، ومن القبائل الأخرى التي أيدته وناصرته قبائل زناتة، وزواغة، وزواوة، ولماية، وسدراتة، وغياثة، ونفزة، ومكناسة، وغمارة فبايعوه، ودخلوا في طاعته، فقوي سلطانه(١).

---

(1) الناصريّ، الاستقصا، ج1، ص151.

(*) فخ: واد في مكة ويقال له وادي الزاهر. أنظر: ياقوت، معجم البلدان، ج4، ص237.

(٢) ياقوت، معجم البلدان، ج4، ص237-238؛ الناصريّ، الاستقصا، ج1، ص151.

(٣) الناصريّ، الاستقصا، ج1، ص152.

(4) البكريّ، المسالك، ص799؛ الناصريّ، الاستقصا، ج1، ص152.

(*) وليلي وقد تكتب (وليله): كما في النقود الإدريسية التي ضربت بها حيث توجد عين تحمل اسم عين وليلي، ومن المرجح أن يكون هو مولاي إدريس الحالي. أنظر: ياقوت، معجم البلدان، ج5، ص384.

(*) طنجة: وهي مدينة تنجس، وتقع على مضيق جبل طارق على مسافة 10كم من رأس شبرتال. أنظر: ابن حوقل، صورة الأرض، ص 80؛ البكريّ، المغرب، ص 108-109؛ وانظر: العربي، اسماعيل، دولة الأدارسة (ملوك تلمسان وفاس وقرطبة) مطبعة مكتبة الفلاح، الكويت، 1989م، ص62؛ حتاملة، الأندلس، ص45،41،34،25، أيبيريا، مطابع الرأي، عمان، ط 1، 2003م، ص 166-244، جيل المولدين، ص98،90،92.

(5) البكريّ، المسالك، ص799؛ الناصريّ، الاستقصا، ج 1، ص153؛ ابن أبي زرع، أبو الحسن علي بن عبدالله، الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، دار المنصور، الرباط، 1972م، ص20.

(6) الرقيق القيروانيّ، تاريخ افريقية، ص215؛ الناصريّ، الاستقصا، ج1، ص153.

ولهذا فقد قامت الدولة الإدريسية، وسميت بهذا الاسم نسبة إلى مؤسسها إدريس بن عبدالله بن الحسن بن علي بن أبي طالب الذي هرب إلى المغرب، نتيجة ضغط العباسيّين، وأسس هذه الدولة[٢].

ويرجع الفضل إلى راشد مولى إدريس، في وصول إدريس بن عبدالله سالماً إلى المغرب الأقصى، والدعاية له بين قبائل البربر لقبول وتبني دعوته[٣].

وقد أسس إدريس جيشاً من قبائل أوربة، وزناتة، وصنهاجة، وهوارة، وغيرهم[٤].

وبذلك تم تأسيس الدولة الإدريسية في المغرب، وسميت نسبة إلى مؤسسها إدريس بن عبدالله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب، الذي هرب إلى المغرب نتيجة ضغط العباسيّين وأسس هذه الدولة سنة 172هـ[٥].

وكان والي مصر آنذاك علي بن سليمان العباسيّ الذي علم بأمر إدريس وفراره إلى مصر ثم إلى المغرب، إذ كان قد بثّ العيون على الطرقات، وكان إدريس ومولاه قد خرجا بزيّ التجار، وخرج إدريس مع أحد المصريين المتشيعين لآل البيت، فسلكا طريق البرية، إذ وصلا إلى برقة، وأقاما بها حتى لحق بهما راشد[٦]، ثم وصل إلى المغرب الأقصى[٧].

وفي رواية للكنديّ في (الولاة والقضاة) أن علي بن سليمان العباسيّ كان قد تستر على قريبه العلويّ، الأمر الذي أدى بالرشيد أن يعزله[٨].

وكان إدريس بن عبدالله قد واصل رحلته من برقة إلى تلمسان، حيث استراح بها أياماً ثم ارتحل نحو بلاد طنجة فقد عبر وادي ملوية، ودخل بلاد السوس الأدنى، وتقدم إلى مدينة طنجة، وهي يومئذ مركز المغرب الأقصى، ومركز مدنه، ثم تابع سيره حتى وصل مدينة وليلي[٩].

وكان إدريس قد لحق بتاهرت عاصمة الرستميين بالمغرب الأوسط، وذلك قبل أن يرحل إلى المغرب الأقصى، ويستقرّ بمدينة وليلي في سنة 172هـ/788م[١٠].

ويمكن الاستفادة من تاريخ عزل الوالي علي بن سليمان وذلك لتوقيت وصول إدريس بن عبدالله إلى المغرب، وظهور أمره هذا، ولو أن هناك رواية في (البيان المغرب في أخبار المغرب) لابن عذاري تذكر أن دخول إدريس للمغرب كان سنة 170هـ/ 786م، ولكن الأستاذ سعد زغلول عبد الحميد في (تاريخ المغرب العربي) يقول (نعتقد أنه يقصد بذلك خروجه من مصر إلى المغرب)[١١].

---

(1) البكريّ، المسالك، ص 801؛ الناصريّ، الاستقصا، ج 1، ص155؛ ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص20. وسيشار إليه فيما بعد: ابن أبي زرع، روض القرطاس.

(٢) ابن عذاري، البيان، ج 1، ص82؛ ابن حزم، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد الأندلسي، جمهرة أنساب العرب، دار الكتب العلمية، ط4، 2007م، ص49. وسيشار إليه فيما بعد: ابن حزم، جمهرة.

(5) البكريّ، المغرب، ص 122؛ مجهول، الاستبصار، ص 4؛ وانظر: زغلول، تاريخ المغرب، ج 2، ص424.

(6) ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص20.

(7) ابن عذاري، البيان، ج1، ص82.

(1) الناصريّ، الاستقصا، ج1، ص154؛ ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص18.

(2) الناصريّ، الاستقصا، ج1، ص154؛ ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص18.

(3) الكندي، الولاة، ص131؛ وانظر: نبيلة، محاضرات، ص264-265.

(4) الناصريّ، الاستقصا، ج1، ص154؛ ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص19.

(١٠) البكريّ، المغرب، ص118؛ مجهول، الاستبصار، ص194؛ ابن الابار، الحلة السيراء، ص54-55.

(١١) زغلول، تاريخ المغرب، ص412، وهامش ص4.

وهذا يرجع للرواية التي تقول أن الذي تولى قتل واضح هو الرشيد، وليس الهادي موسى الذي مات في منتصف ربيع الأول سنة 170هـ، حسبما تقول رواية الواقديّ الذي ينقلها الطبريّ(١).

وعندما نزل إدريس مدينة وليلي ـ وهي قاعدة جبل زهرون في أراضي طنجة ـ نزل على صاحبها الأمير إسحق بن محمد بن عبد المجيد الأوربيّ ـ نسبة إلى قبيلة أوربة البربرية ـ حيث أكرم إدريس وبالغ في بره فأظهر له إدريس أمره، وعرفه على نسبه، فوافقه على حاله وأنزله بداره، وأقام عنده ستة أشهر، يقول ابن خلدون في (العبر): (فأجاره وأكرمه وجمع البربر على القيام بدعوته، وخلع الطاعة العباسيّة، وكشف القناع، واجتمع عليه البربر بالمغرب، فبايعوه، وقاموا بأمره)، وفي يوم الجمعة من شهر رمضان سنة 172هـ/788م، جمع عبد المجيد (زعيم أوربه) اخوته من قبائل أوربه، فعرّفهم بنسب إدريس، وفضله، وقرابته من الرسول (ص) وشرفه، وعلمه، ودينه، والفضائل المجتمعة فيه، فقالوا: (الحمد لله الذي أتانا به وشرفنا بجواره، ورؤيته فهو سيدنا، ونحن عبيده، نموت بين يديه، فما تريد منا، قال: تبايعونه فقالوا: سمعاً وطاعة، ما منا يتوقف عن بيعته)، فبايعته قبائل أوربه، وكانوا في ذلك الوقت أعظم قبائل المغرب، وأكثرها عدداً، وأشدهما قوة وبأساً، فكانوا هم أنصاره الأولين(٢).

فبويع إدريس سنة اثنتين وسبعين ومائة (٣). وخطب إدريس بالناس يوم بيعته، فكان مما قال في خطبته ((أيها الناس لا تمدوا الأعناق إلى غيرنا، فإن الذي تجدونه من الحق عندنا لا تجدونه عند غيرنا))(٤).

وبعد انضمام كل هذه القبائل إلى الدعوة العلوية بدأ إدريس في تأسيس الدولة الإدريسية، وذلك حسب الأهداف التي أخذ الإمام على عاتقه القيام بها، والتي تتفق ورسالة آل البيت وهي العمل على نشر الإسلام، والجهاد في سبيل الله، أما عن مجال هذا العمل فكانت الأقاليم لم ترسخ أقدام الإسلام فيها بعد، أو التي عرف أهلها بالزيغ، وانحراف في العقيدة(٥).

وتزوج إدريس بن عبدالله ابنة صاحب مدينة وليلي الذي استضافه، وأكرمه الأمير اسحق بن محمد بن عبد المجيد الأوروبيّ، واسم ابنته كنزه أو كنيزة المرضية، وكانت ذات جمال وحسن، وبهاء وكمال، واعتدال. ولما استقام أمره أخذ جيشاً عظيماً من وجوه قبائل زناته وأوربه، وصنهاجة، وهواره، وخرج غازياً إلى بلاد تامسنا(٦).

---

(١) الطبريّ، تاريخ الرسل، م4، ص600 .

(٢) البكريّ، المغرب، ج1، ص116؛ الرقيق القيروانيّ، تاريخ افريقية، ص215؛ ابن عذاري، البيان، ج1، ص83؛ إما ابن زرع فإنه ذكر أن وصول إدريس إلى مدينة وليلي كان في غرة ربيع الأول سنة 172هـ/788م، روض القرطاس، ص 7؛ ولم يرد ذكر لتاريخ بيعة إدريس في كتاب ابن خلدون، العبر، ج4، ص24.

(٣) البكريّ، المغرب، ج 1، ص116؛ ابن عذاري، البيان، ج 1، ص83؛ ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص7؛ ابن خلدون، العبر، ج4، ص24.

(٤) الناصريّ، الاستقصا، ج 1، ص62؛ ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص 4؛ ابن خلدون، العبر، ج 4، ص24.

(٥) زغلول، تاريخ المغرب، ص416؛ نبيلة، محاضرات، ص265؛ وفيقة، نشوء الدويلات، ص21.

(٦) ابن خلدون، العبر، ج 6، ص 147-148؛ وانظر: السنوسيّ، الدرر السنية، ص 62؛ مؤنس، تاريخ المغرب، م1، ص381؛ وفيقة، نشوء الدويلات، ص21.

وبهذا فإن إدريس افتتح تامسنا[١]، وافتتح كذلك منطقة تادلا، وشالة في المغرب الأقصى في أواخر سنة 173هـ/ 788م[٢]. ثم زحف سنة 173هـ إلى تلمسان[٣]، وكان بتلمسان أميرها محمد بن خزر المغراوي، فخرج إليه مبايعاً مطيعاً، فأمنه وأبقاه أميراً بتلمسان، ورجع إدريس إلى مدينة وليلي[٤].

وهكذا نرى أن السوس الأقصى أول من غلب عليها وافتتحها وسيطر عليها هو إدريس بن عبدالله مؤسس الدولة الإدريسية[٥].

وعندما اشتهر ذكر إدريس، وعلا صيته، وأمره، وفشا خبر غزواته وفتوحاته، ودخول الناس في طاعته واستجابتهم لدعوته، خاف الرشيد من ذلك، واغتمَّ، حتى أنه امتنع عن النوم، لأنه خشي من تفاقم سلطان الأدارسة في المغرب الأقصى، فعمل على التخلص منه[٦].

وفي سنة 177هـ فكَّر الرشيد في إنفاذ جيش كبير للقضاء عليه، لكنه عدل عن هذه الفكرة، ذلك لبعد المسافة ووعورة الطريق، فبعث إلى وزيره يحيى بن خالد البرمكيّ يستشيره، فقال له: (إن الرجل قد فتح تلمسان، وهي باب افريقية، ومن ملك الباب بوسعه أن يدخل الدار، وقد هممت أن أرسل جيشاً، ولكني عدلت عن ذلك)[٧].

وأشار يحيى بن خالد البرمكيّ على الرشيد أن يبعث داهية من رجاله ليسمه [٨]. فبعث إليه سليمان بن جرير المعروف بـ (الشماخ)[*] مولاه، وذلك سنة 177هـ[٩].

---

(١) البكريّ، المغرب، ص 118؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ج 1، ص84؛ الناصريّ، الاستقصا، ج 1، ص156؛ ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص7؛ ابن خلدون، العبر، ج4، ص24.

(٢) الناصريّ، الاستقصا، ج 1، ص156؛ ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص 7؛ ابن خلدون، العبر، ج4، ص24.

(٣) ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص 7–8؛ انفرد ابن أبي زرع بذكر حركة لإدريس الأكبر إلى منطقة فازاز ونواحيها، بعد الحركة إلى تامسنا وتادلا مباشرة، وجعل تاريخها من أوائل سنة 173هـ إلى منتصف جمادى الآخرة سنة 173هـ/789م. أنظر: ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص7–8.

(٤) لم يتحدث ابن عذاري والبكريّ عن حركة إدريس الأكبر إلى تلمسان، وإنما تحدثا عن حركته إلى تازا، وجعلها ابن عذاري في سنة 174هـ. أنظر: ابن عذاري، البيان، ج 1، ص84. والبكريّ في جمادى الآخرة سنة 174هـ. أنظر: البكريّ، المغرب، ص 8. وانظر كذلك: ابن خلدون، العبر، ج 4، ص 24–25؛ الناصريّ، الاستقصا، ج1، ص57.

(٥) البكريّ، المغرب، ص8؛ وانظر: وفيقة، نشوء الدويلات، ص22.

(٦) الناصريّ، الاستقصا، ج1، ص157؛ حسن، تاريخ الإسلام ص224.

(٧) الناصريّ، الاستقصا، ج 1، ص157–158؛ ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص 21؛ وانظر: حسن، تاريخ الإسلام، ج2، ص224؛ وفيقة، نشوء الدويلات، ص22.

(٨) ابن الأثير، الكامل، ج5، ص76؛ الناصريّ، الاستقصا، ج1، ص158؛ وانظر: السنوسيّ، الدرر السنية، ص67؛ العربي، دولة الأدارسة، ص 67؛ حسن، تاريخ الإسلام، ج 2، ص224؛ وفيقة، نشوء الدويلات، ص22.

(*) الشماخ: كان هذا الرجل من أهل الشجاعة، والدهاء، والفصاحة، وهو مولى للمهدي العباسيّ والد الرشيد. أشار يحيى بن خالد البرمكي على هارون الرشيد بارساله للقضاء على المولى إدريس بإظهار المكر والخداع. واستعمال المكيدة والحيلة. ويتصف بالشجاعة والتدبير وقوة المنطق الجدلي والحجة الكلامية. فنزل إلى المولى إدريس مظهراً التبرؤ من الدعوة العباسيّة ورافقه في رحلته هذه رجل موثوق بإخلاصه وشجاعته، يساعده على الهروب. مزوداً بالمال، فانتحل الطب لانجاز مكيدته. ولمّا وصل إلى المولى إدريس ادعى أنه من بعض موالي أبيه عبدالله وأنه قصده حباً، دليلاً لأهل بيته، فسُرَّ به المولى إدريس وأنس بقربه وسكن إليه، فكان لا يأنس لغيره، وهكذا مهّد سليمان لمهمته .أنظر: الشهرستاني، الملل والنحل، ج1، ص 160؛ الناصريّ، الاستقصا، ج1، ص158.

(٩)البكريّ، المغرب، ج 1، ص120؛ الرقيق القيروانيّ، تاريخ افريقية، ص 219؛ ابن عذاري، البيان، ج 1، ص83؛ الناصريّ، الاستقصا، ج 1، ص158؛ ابن خلدون، العبر، ج 4، ص25؛ وانظر: العربي، دولة الأدارسة، ص 67؛ حركات، المغرب عبر التاريخ، ص97؛ وفيقة، نشوء الدويلات، ص22.

وعن كيفية قتل إدريس الأول تذكر الرواية أن سليمان بن جرير (الشماخ) كان متوشحاً بالذهب، وطلب الدخول في خدمته ، وعرفه بنفسه أنه من وطنه، وأهل بلده، فحنَّ إليه إدريس وأقبل عليه وقرّبه ، وكان يخلو معه، إلى أن وجد سليمان الشماخ الفرصة المواتية فسممه(١). فسممه(١).

واختلفت الآراء والأقوال في تسممه، فبعضهم قالوا إنه سممه في تفاحة كان قد استعد له بها من عند هارون الرشيد، فمات إدريس حين شمّها(٢).

وبعضهم يقول: إنه قدم قارورة من المسك مسمومة، فشمها، فصعد السم في خياشيمه إلى دماغه، فغشي عليه وسقط على الأرض ميتاً(٣).

ورواية تقول إن الشماخ قد سمَّ إدريس الأول بأن قدَّم له سواكاً، وكان إدريس يشكو من ألم في أسنانه ولثته، وقيل أنه قدم له عنباً مسموماً(٤).

ومهما يكن من أمر، فإنه لمَّا حقق الشماخ الغرض الذي أتى من أجله هرب، وقدم على إبراهيم بن الأغلب، فأخبره بما فعل، وجاءته الأخبار بموت إدريس، فولى الرشيد سليمان بن جرير (الشماخ) بريد مصر(٥)، وكانت وفاة إدريس سنة 177هـ/793م (٦).

ولم يترك إدريس عقباً له غير حمل من جاريته كنزة، فجمع راشد مولاه البربر، وكان من الدعاة، وقال: (ما رأيكم) فاتفقوا على توقيف الأمر على وضع الحمل فإن كان ذكراً بايعوه، وإن كان أنثى نظروا حينئذ لأنفسهم، فلما ولدت كنزة وضعت ذكراً بعد أيام من موت إدريس(٧).

وعمد إبراهيم بن الأغلب إلى الكيد براشد بوصفه قائماً بأعمال دولة الأدارسة، فاستمال بعض الأشخاص لاغتياله، وانتهى ذلك بمقتل راشد سنة 186هـ/802م(٨).

غير أن مقتل إدريس الأول لم يحقق آمال الرشيد للحيلولة دون قيام الدولة العلوية في المغرب، ذلك أن البربر كانوا مجمعين على الاستمرار في دولتهم الاستقلالية (٩)، ومن الأخطاء الشائعة القول بأن دولة الأدارسة دولة شيعية ذلك لأن مؤسسها وأئمتها كانوا من أهل البيت، وأن آل البيت لا يمكن أن يكونوا شيعة، لأن الشيعة هم الذين يتشيعون لهم وهم

---

(١) الناصريّ، الاستقصا، ج1، ص158؛ ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص23؛ وانظر: السنوسيّ، الدرر السنية، ص68.

(٢) الناصريّ، الاستقصا، ج1، ص158-159، وانظر: السنوسيّ، الدرر السنية، ص68.

(٣) الطبريّ، تاريخ الرسل، ج 10، ص29؛ وانظر: حسن، تاريخ الإسلام، ج 2، ص225؛ العربي، دولة الأدارسة، ص69.

(٤) الناصريّ، الاستقصا، ج 1، ص158-159؛ وانظر: وانظر: السنوسيّ، الدرر السنية، ص 12؛ حسن، تاريخ الإسلام، ج2، ص255؛ العربي، دولة الأدارسة، ص69.

(٥) ابن الابار، الحلة السيراء، ص199؛ وانظر: وفيقة، نشوء الدويلات، ص22.

(٦) ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص23.

(٧) ابن الابار، الحلة السيراء، ج1، ص199؛ وانظر: وفيقة، نشوء الدويلات، ص22.

(٨) ابن الابار، الحلة السيراء، ج 1، ص186؛ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ج 3، ص197؛ ابن خلدون، العبر، ج4، ص13 وما بعدها.

(٩) زكار، تاريخ العرب، ص486.

(الأدارسة)، فهم على سنة جدهم محمد (ص) [١]، ولم يعرف الأدارسة في بلادهم غير مذهب المالكية[٢].

ومن هنا فإنني أرى أن إدريس مؤسس الدولة الإدريسية هو سنيّ، لأنه دعا البربر إلى كتاب الله وسنة نبيه (ص)، ودعا إلى العدل في الرعية، وأمانة، وإماتة البدعة، وانفاذ حكم كتاب الله على القريب والبعيد. كما ورد في مطلع عهده اليهم، ثم إن في تقديم نفسه للبربر، والشهادة على استجابته هو للدعوة هو تعبيراً واضحاً على ذلك. وبايعه البربر على القيام بأمرهم، وولوه صلاتهم، وأحكامهم، وغزوهم. ثم إنه لم يدع لنفسه إلا بعد أن قتل أخوه يحيى الذي له الحق قبله. صحيح أنه لم يلقب (بالإمام)، ولم يصرح به حتى أيامه الأخيرة ولم يكن هناك إشارات تدل على أنه تلقب بلقب (الإمام)، غير أن إدريس كان يسمع من يدعوه بهذا اللقب، وكان اهتمام إدريس منذ اللحظة الأولى هو نشر الإسلام على نطاق واسع بين مختلف قبائل البربر المغربية، التي كان أغلبها يدين باليهودية، والنصرانية، وظل يدعو حتى أسلمت له بلاد تامستا (تامنسا) وتادلا (تادلة)، وأرسى أسس دعوته وكذلك في تلمسان.

وكان إدريس قد قال للبربر: (أدعوكم إلى كتاب الله وسنة نبيه (ص) وإلى العدل في الرعية، والقسم بالسوية، ورفع المظالم، والأخذ بيد المظلوم)، ثم يختمها بالقول: (هذه دعوتي العادلة غير الجائرة، فمن أجابني فله ما لي، وعليه ما عليّ، ومن أبى فحظه أخطأ، وسيرى ذلك عالم الغيب والشهادة أني لم أسفك دماً، ولا استحللت محرماً، ولا مالاً).

وكان من الأسباب القوية التي أدت إلى قيام دولة الأدارسة في المغرب هو نصرة مذهب السنة والجماعة للأدارسة، وقيام إمامة الأدارسة[٣]، والوصف الصحيح لهذه الدولة أنها كانت كانت دولة علوية هاشمية[٤].

وبعد موت إدريس بن عبدالله خلت الإمامة، إذ لم يكن يومئذ لإدريس ولد، إلا أنه ترك كما ذكرنا سابقاً جارية اسمها كنزه (كنيزة)، وقد ولدت، وقام راشد مولى إدريس الأول بجمع واستمالة القبائل، وأخبرهم بذلك، فقالوا له: أيها الشيخ المبارك تقوم بأمرنا كما كان إدريس يفعل فينا حتى تضع الجارية، فإن وضعت غلاماً ربيناه تبركاً بأهل البيت، وذرية رسول الله (ص)، وإن كانت جارية نظرنا (أنفسنا)، فكان ذكراً، وكان ميلاده يوم الإثنين من شهر ربيع الآخر سنة 177هـ/793م[٥].

وقد قام راشد مولى إدريس الأول بإدارة مقاليد الأمور في الدولة خير قيام، وقد سمّى راشد المولود الجديد إدريس، تيمناً بأبيه، وكفله، ورعاه، وقام بأمره، وأحسن تأديبه، وأقرأه القرآن وحفظه وهو ابن ثماني سنين، وعلمه السنة والفقه، وأشعار العرب وأيام الناس، وسير الملوك كما علمه ركوب الخيل، والمجاولة بها، وإحكام الرمي بالسهم[٦].

---

(١) مؤنس، تاريخ المغرب، ص372.

(٢) المرجع نفسه، ص372.

(٣) مؤنس، تاريخ المغرب، ص372.

(٤) المرجع نفسه، ص372.

(٥) الناصريّ، الاستقصا، ج 1، ص159؛ ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص 25؛ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ج3، ص195-196؛ وانظرالسنوسيّ، الدرر السنية، ص80؛ العربي، دولة الأدارسة، ص73.

(٦) البكريّ، المغرب، ص 22؛ الناصريّ، الاستقصا، ج 1، ص159؛ ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص25؛ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ج3، ص196؛ وانظر: السنوسيّ، الدرر السنية، ص 81؛ وفيقة، نشوء الدويلات، ص23.

وكانت ولاية إدريس الثاني سنة 188هـ/804م وهو ابن (إحدى عشرة سنة) [١]، وتتفق الروايات على أن إمامة إدريس الأصغر تمت بعد وفاة راشد مولى أبيه إدريس **الأول، فابن** أبي زرع في (روض القرطاس) يقول: إن راشداً اغتيل بتدبير إبراهيم بن الأغلب قبل مبايعة إدريس الثاني سنة 186هـ/802م [٢].

وقام بأمر إدريس بعد راشد أبو خالد يزيد بن إلياس العبدي، فأخذ له البيعة من جميع قبائل البربر، وذلك يوم الجمعة غرة ربيع الأول 188هـ/804م، بعد أن قتل راشد بعشرين يوماً[٣].

وقد اتصف إدريس الثاني بعدة مزايا، وصفات من صلاح وتقوى في الدين [٤]، وقد وفد إليه الكثير من قبائل العرب والأندلس، حتى اجتمع إليه منهم خمسمائة شخص، فرحب بهم، واختصهم دون البربر وكانوا له بطانة وحاشية واستفحل بهم سلطانه[٥].

واتخذ إدريس الثاني له وزيراً من الأزد هو عمير بن مصعب بن عيسى الأزدي المسمى (الملجوم)[٦]. وعيّن عامر بن محمد بن سعيد القيسيّ من قبيلة الأزد قاضياً، وكان عالماً ورعاً، سمع عن مالك، وسفيان الثوري، وروى عنهما الكثير، والذي كان قد دخل الأندلس

مجاهداً واختار العدوة [*] ودخل إلى مدينة وليلي [٧]. وكاتبه كان أبو الحسن عبد الملك بن مالك الخزرجي[٨].

ولم تزال الوفود العربية تنزع إليه بكثرة حتى ضاقت وليلي بهم [٩]، وكانت الوفود بداية هي هجرة العرب من الأندلس وافريقية نحو إدريس الثاني، حيث وقعت اضطرابات في الأندلس وافريقية؛ الأمر الذي دفع الكثيرين من العرب على الهجرة إلى المغرب الأقصى[١٠].

---

(١) البكريّ في كتابه المغرب، ص 23 (يذكر أنه تولى قيام الولاية يوم الجمعة 7 ربيع الأول سنة 187هـ الموافق 5 مارس 803م)؛ أنظر: ابن عذاري، البيان المغرب، ج1، ص210.

(٢) ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص13.

(5) الناصريّ، الاستقصا، ج1، ص160؛ ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص27.

(٤) البكريّ، المغرب، ج1، ص122؛ وانظر: السنوسيّ، الدرر السنية، ص83-84.

(٥) ابن خلدون، العبر، ج 4، ص13؛ وانظر: السنوسيّ، الدرر السنية، ص 85؛ العربي، دولة الأدارسة، ص76؛ الروضان، عبد عون، موسوعة تاريخ العرب، الدار الأهلية، عمان، ط1، 2004م، ج2، ص53.

(٦) سمي بالملجوم وذلك لإصابته بضربة من بعض حروبهم وسمته على أنفه وكأنها خطام. أنظر:ابن خلدون، العبر، ج4، ص13؛ وانظر: العربي، دولة الأدارسة، ص77.

(*) العدوة تعني البر من حيث يجتاز البحر، واطلقت الكلمة على ضفتي بحر الزقاق بين الأندلس والمغرب. وفيها عدوتان: عدوة الأندلس وعدوة المغرب أو افريقية. والكلمة في روض القرطاس تعني هنا البر المغربي أو بلاد المغرب التي أصبحت مركز الثقل على أيام الكاتب في القرن الرابع عشر. أنظر: ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص14.

(٧) ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص 29؛ وانظر: العربي، دولة الأدارسة، ص 77؛ كحيلة، المغرب، ص67؛ مؤنس، تاريخ المغرب، ص384.

(٨) ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص 29؛ ابن خلدون، العبر، ج 4، ص13؛ زغلول، تاريخ المغرب، ج2، ص442.

(٩) ابن خلدون، العبر، ج4، ص13؛ وانظر: زغلول، تاريخ المغرب، ج2، ص14؛ مؤنس، تاريخ المغرب، ص384.

(١٠) حول الاضطرابات في المغرب وافريقية. أنظر: ابن عذاري، البيان، ج1، ص157 وما بعدها؛ وانظر: زغلول، تاريخ المغرب، ج2، ص442.

وفي هذه الظروف أعلن إدريس الثاني في سنة 190هـ/805م عزمه على الانتقال **من** مدينة وليلي، والبحث عن مدينة جديدة له ولجنوده وخاصته، فاختار موقع، يمتاز بطيب تربته واعتدال هوائه[١]، وقد بدأ ببناء السور، وبنى جزءاً منه، ولكنه اتضح أن اختيار الموقع لم يكن موفقاً إذ اجتازته السيول، وهدمت ما بني من السور، وخرب السيل خيام العرب، وقرر إدريس ترك هذا الموقع، والبحث عن موقع آخر[٢].

وفي سنة 191هـ/807م خرج إدريس في رحلة صيد، واختار هذه المرة موقعاً مناسباً جداً لبناء عاصمته الجديدة، ويمتاز بالينابيع الساخنة المعروفة بحمة خولان ــ التي تعرف اليوم باسم سيد حرازم ــ كما أنه قريب الموقع من الماء العذب[٣].

بنيت مدينة فاس على مرحلتين: الأولى ابتداءً من سنة 191هـ/807م، بنى جزءاً من المدينة، وعرف هذا الجزء بعدوة الأندلس على الضفة الشرقية نهر فاس في غرة رمضان 192هـ/808م[٤]، وأسس به جامع الأشياخ[٥].

وقد بدأ ببناء الأساس ثم دور الإمام والمسجد الجامع، كما نصبت الخيام وحولها جدر من الخشب والقصب في الموضع الذي عرف بجراوة[*] (كراوة)[٦].

يقول ابن خلدون:((واختط عدوة القرويين، وبني مساكنه، وانتقل إليها، واستقام له أمر الخلافة))[٧]. ثم المرحلة الثانية حيث بنيت عدوة القرويين سنة 193هـ/809م، إذ أخذ في بناء الجامع وهو المسجد المعروف الآن بجامع الشرفاء [٨]، وقد بنيت عدوة القرويين على الضفة الأخرى المقابلة في موضع يقال له (زواغة)، وكان هذا الموضع أشبه بقرية رعوية، وترك الإمام الموضع الأول واتجه للنزول في موضع آخر يعرف (بالمقرمدة)[٩].

اتسعت المدينة لكثرة أشجارها التي ساعدت في بناء المساكن [١٠]، ومدينة فاس كانت تضم بالإضافة إلى العرب والبربر اليهود الذين سكنوا بالقرب من باب حصن سعدون[١١].

---

(10) ابن عذاري، البيان، ج1، ص210؛ ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص29.

(٢) ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص29؛ وانظر: زغلول، تاريخ المغرب، ج2، ص445؛ وفيقة، نشوء الدويلات، ص23.

(٣) ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص30؛ وانظر: زغلول، تاريخ المغرب، ج2، ص445.

(٤) البكريّ، المغرب، ص 115-123؛ ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص 30؛ ابن خلدون، العبر، ج14ص13-15.

(9) الناصريّ، الاستقصا، ج1، ص166.

(*) جراوة باللغة المحلية كانت تعني الجدار أو السياج. أنظر: ليفي بروفنسال حول (تأسيس مدينة فاس) الذي يفسر كلمة جدر (جمع جدار) على أنها تعريب للإسم البربري الفينيقي أجادير وأنها تعني المخازن الجماعية أو المجلس، ومنها اشتقت كلمة اجراو التي أطلقت على بعض مجالس إقليم الريف والتي اشتق منها اسم جراوا (موقع فاس) الذي يعني المعسكر، أنظر: ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص32.

(٦) ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص32؛ ابن خلدون، العبر، ج4، ص12.

(٧) ابن خلدون، العبر، ج4، ص13؛ وانظر: السنوسيّ، الدرر السنية، ص100-101.

(٨) الناصريّ، الاستقصا، ج1، ص166؛ ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص38؛ البكريّ، المغرب، ج1، ص115؛ ابن خلدون، العبر، ج4، ص13.

(٩)البكريّ، المغرب، ج1، ص115؛ الناصريّ، الاستقصا، ج1، ص166.

(١٠) ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص31-32.

(١١) الناصريّ، الاستقصا، ج1، ص5؛ ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص39.

وتأتي أهمية مدينة فاس من ترسيخ سلطان الأدارسة في المغرب، والعمل الحضاريّ الذي يمثّل رسالة الأدارسة الطالبيين في بلاد المغرب الأقصى، إذ أن إدريس الثاني بعد أن أقام بفاس إلى سنة 197هـ/812-813م، خرج في السنة المذكورة لغزو بلاد المصامدة وأخضع قبائلهم، ووصل في غزوهم حتى السوس الأقصى، إذ أخضع مدينة نفيس ومدينة أغمات، ثم عاد إلى فاس(١).

وتذكر الرواية أنه في المحرم من سنة 197هـ خرج لغزو بلاد المصامدة، فأخضع قبائلهم، وانتهى حتى السوس الأقصى، إذ أخضع مدينة نفيس، ثم عاد إلى فاس(٢).

وفي خطوة جديدة لتأكيد سلطانه في أقاليم المغرب الأوسط الغربية خرج سنة 198هـ إلى المغرب الأوسط، لغزو قبائل نفزة وأخضع قبائلها، ودخل مدينة تلمسان، وأقام ثلاث سنوات لتدبير أمورها، وإصلاح أحوالها، ثم رجع إلى مدينة فاس(٣).

واستطاع إدريس الثاني بحزمه وحكمته إحباط مؤامرات الأغالبة حلفاء العباسيّين، ومن ورائهم الخليفة هارون الرشيد، وتمكن من تثبيت سلطانه على قبائل البربر(٤).

وتمكن في فترة وجيزة من توسيع القاعدة التي وضعها أبوه والتي تشكل أوربة دعامتها، ومد حكومة مملكته عبر جبال الأطلس الأعلى في جنوب مراكش حتى درعة، التي تمثل مناجم الذهب فيها موارد ذات قيمة كبيرة، وضمن لنفسه موانئ المحيط الأطلسي، والسيطرة على مضيق جبل طارق من طنجة وسبتة، اللتان كانتا تشكلان قاعدة الأندلس(٥).

وفي سنة 213هـ/828م توفي إدريس الثاني، وكان عمره ثماني وثلاثين سنة في مدينة وليلي، وقد كان أبناؤه اثني عشر ولداً وخلفه محمد بن إدريس(٦).

وقسم محمد بن إدريس الدولة بين إخوانه على النحو التالي(٧):

1ـ محمد: وقد احتفظ بولاية فاس، وولي القاسم سبتة، وقلعة النسر(٨).

2ـ عمر: ولي بلاد صنهاجة، وغمارة(١).

---

(١) البكريّ، المغرب، ص123؛ ابن عذاري، البيان، ج1، ص211؛ الناصريّ، الاستقصا، ج1، ص 169؛ ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص 50؛ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ج 2، ص201؛ ابن خلدون، ج 4، ص13؛ وانظر: نبيلة، محاضرات، ص273.

(٢) ابن عذاري، البيان، ج 1، ص211؛ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ج 2، ص201؛ ابن خلدون، العبر، ج4، ص4، ص13.

(٣) ابن أبي زرع، روض القرطاس؛ ابن خلدون، العبر، ج4، ص13.

(٤) الناصريّ، الاستقصا، ج1، ص171؛ وانظر: العربي، دولة الأدارسة، ص 119.

(٥) الناصريّ، الاستقصا، ج1، ص171.

(٦) الناصريّ، الاستقصا، ج 1، ص171؛ ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص 50؛ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ج3، ص201؛ ابن خلدون، العبر، ج4، ص14؛ وانظر: السنوسيّ، الدرر السنية، ص 13؛ مؤنس، تاريخ المغرب، ج2، ص457-458.

(٧) الناصريّ، الاستقصا، ج 1، ص173؛ ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص 51؛ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ج3، ص204-205.

(٨) البكريّ، المغرب، ص124؛ ابن الابار، الحلة السيراء، ج1، ص31؛ ابن خلدون، العبر، ج4، ص14.

3ـ داوود: ولي بلاد هوارة وما وراءها(٢).

4ـ يحيى: ولي مدينة البصرة(*)، ومدينة أصيلا(*) (٣).

5ـ وولي أحمد مدينة مكناسة، وجبال فازاز، وتادلا (٤)، وولي عبدالله بلاد السوس الأقصىوبلاد نفيس، وأغمات(٥)، وولي عيسى مدينة شاله وتامسنا وبرغواطة، وولي حمزة(٦) مدينة تلمسان، واختص هو بمدينة فاس فكانت دار ملكه (٧). ومن أبنائه أيضاً عمران وحمدون(٨).

وقد انتهى هذا التقسيم بالنزاع بين الأخوة، وكان أول من خرج عن طاعة الإمام عيسى هو الذي ولاه، فكتب الإمام إلى أخيه قاسم صاحب سبتة وطنجة يأمره بمحاربته، فامتنع عن ذلك وخالف أمره، بينما أطاع عمر أمر أخيه إدريس، فأوقع بعيسى، وهزمه، وولى جميع عمله، ثم أنه سار إلى القاسم، فكانت بينهما حرب شديدة هزم فيها القاسم الذي انتهى أمره إلى المسير إلى البحر مما يلي مدينة (أصيلا)، فبنى لنفسه مسجداً، وزهد في الدنيا (٩)، وضم عمر بلاده إلى يده واستمرّ عاملاً لأخيه إلى أن توفي سنة 220هـ، وخلف أبناءه أملاكه، إذ خلف علي بن عمر والده(١٠).

---

(١)البكريّ، المغرب، ص 124؛ ابن عذاري، البيان، ج 1، ص 211؛ ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص51. ويذكر ابن أبي زرع تيجناس بدلاً من تيجساس.

(٢)البكريّ، المغرب، ص 134؛ ابن عذاري، البيان، ج 1، ص 211؛ بن أبي زرع، روض القرطاس، ص51. ولا يذكر ابن أبي زرع (تازا) ويضيف ابن عذاري تامليت. أنظر: ويضيف البكريّ (تاسلمت).

(*) البصرة: مدينة في المغرب الأقصى تعرف ببصرة الكتان، لأن أكثر تجارة أهلها الكتان وتعرف أيضاً بالحمراء، لأنها حمراء التراب. وكان سورها مبنياً بالحجارة والطوب. ولها عشرة أبواب، ولجامعها سبع بلاطات وبها حمامان كبيران. وقيل أنها قرية على وادي سبوا، بينها وبين فاس مرحلة. ومن مدينة البصرة طريق آخر إلى فاس ومنها إلى منطقة ورغة مرحلة، ثم إلى وادي ماسنة مرحلة، وهي مدينة عيسى بن حسين الحسني المعروف بالحجام ثم إلى مدينة سداك، وهي قاعدة خلوف بن محمد المغيلي، ثم إلى فاس. ويقال لها كرت. أنظر: ابن عذاري، البيان، ج2، ص 135، 336 ؛ ابن حوقل، صورة الأرض ص 81.

(*) أصيلا: مدينة في المغرب الأقصى، وقد أسست في الوقت الذي أسست فيه مدينة البصرة وعلى بعد ثمانية أميال منها جبل يقال له صرصر وهي كثيرة المياه والتجارة؛ أنظر: ابن عذاري، البيان، ج 2، ص 336.

(٣) ابن خلدون، العبر، ج4، ص14. ولا يذكر ابن خلدون البصرة ضمن بلاد يحيى.

(٤) ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ج3، ص204-205.

(٥) ابن خلدون، العبر، ج4، ص14.

(٦) البكريّ، المغرب، ص124، ابن عذاري، البيان، ج1، ص211.

(٧) ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص 51؛ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ج 3، ص204 -205؛ ابن خلدون، العبر، ج4، ص14.

(٨) ابن خلدون، العبر، ج4، ص13.

(٩) البكريّ، المغرب، ص24؛ ابن الابار، الحلة السيراء، ج 1، ص 33 وما بعدها؛ ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص52 وما بعدها؛ ابن خلدون، العبر، ج4، ص14.

(١٠) ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص52.

وعلي بن عمر هذا هو جد الحموديين من الأدارسة، الذين دخلوا الأندلس بعد سنة 400هـ/1009م عند انهيار الدولة الأموية(١).

أما عن الإمام محمد فقد توفي بعد أخيه عمر بسبعة أشهر في شهر ربيع الثاني سنة 221هـ، وخلفه ابنه علي الذي توفي في رجب سنة 234هـ، ثم خلفه أخوه يحيى، الذي أساء السيرة، وخالف طريق سلفه، فثار عليه الناس، واعتصم منهم بعدوة الأندلس، وانتهى الأمر بانتقال الملك عن بني محمد إدريس إلى بني عمهم عمر بن إدريس(٢).

توفي يحيى بن محمد بن إدريس في تاريخ غير معروف، وخلفه ولده يحيى بن يحيى، ولم يكن له شيء من الفضل الذي كان لأسلافه، إذ انهمك في ملذاته، فثارت العامة ضده وعزلوه، ومات في ظروف غامضة، وبموته انتقلت الإمامة من بيت محمد بن إدريس إلى عمر بن إدريس(٣).

واجه علي بن عمر بن إدريس (الإمام السابع للأدارسة) ثورة قام بها الصفرية من قبيلة مديونه البربرية، بزعامة أحد المهاجرين الأندلسيين، يدعى عبد الرزاق الفهريّ الذي استولى على عدوة الأندلسيين، واستعصت عليه عدوة القرويين، وكان هرب الإمام وتخاذله من العوامل التي أدت إلى ثورة الخوارج عليه، وخلعه، وتولية يحيى بن القاسم بن إدريس، إلا أنه تمكن من القضاء على الثورة حتى توفي سنة 292هـ/905م(٤).

وبعد وفاته خلفه يحيى بن إدريس بن عمر بن إدريس، ويصفه ابن خلدون بأنه (أعلى بني إدريس ملكاً وأعظمهم سلطاناً، وكان فيهاً عارفاً بالحديث، ولم يبلغ من الأدارسة مبلغه في السلطان والدولة)(٥).

وممَّا تجدر ملاحظته أن المغرب لم يخلص كله للأدارسة، فلئن استطاع الأدارسة أن يمدّوا نفوذهم شرقاً إلى تلمسان، فقد كانت ناحية تامسنا خارجه عن ملكهم، يتحكم في شؤونها البرغواطيون، وهم قبيلة من البربر، وكان في سجلماسة بنو مدرار ، وبنو صالح في منطقة نكور وبنو عصام في سبتة(٦).

وهكذا صار الأمراء الأدارسة يتوارثون الحكم في الدولة، فخلف يحيى بن محمد يحيى الرابع بن إدريس بن عمر وحكم مدة خمسة عشر عاماً، وكان أقدر ملوك الأدارسة وأبعدهم ذكراً، وأوسعهم ملكاً، وأقواهم سلطاناً، وأكثرهم عدلاً، يقول ابن خلدون: (ولم يبلغ أحد من الأدارسة مبلغه في الدولة والسلطان، إلى أن قضى على ملكه عباب العبيديين الفاطميين بافريقية فأغرقه)(٧).

---

(١) ابن عذاري، البيان، ج1، ص211؛ ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص53.

(٢) البكريّ، المغرب، ص 125؛ ابن عذاري، البيان، ج 1، ص212؛ ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص51؛ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ج 3، ص207-208؛ ابن خلدون، العبر، ج 4، ص15؛ وانظر: زغلول، تاريخ المغرب، ج2، ص471-477.

(٣) الناصريّ، الاستقصا، ج1، ص178؛ ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص52؛ ابن خلدون، العبر، ج4، ص14-16.

(٤) الناصريّ، الاستقصا، ج 1، ص179؛ ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص 52؛ ابن خلدون، العبر، ج4، ص114-16.

(٥)الناصريّ، الاستقصا، ج1، ص181-182؛ ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص80؛ ابن خلدون، العبر، ج4، ص14-16.

(٦) ابن عذاري، البيان، ج1، ص246-252.

(٧) الناصريّ، الاستقصا، ج1، ص182؛ ابن خلدون، العبر، ج4، ص18.

غزا بلاد الأدارسة مصالة بن حبوس قائد عبدالله المهدي الفاطمي سنة 305هـ/917م وفتح تاهرت، والتقى بيحيى بالقرب من مكناسة، فألحق الهزيمة بيحيى، وعاد منهزماً إلى فاس، فتبعه مصالة، وحاصره في المدينة، فاضطر يحيى إلى طلب الصلح على أن يؤدي بعض الأموال، وبايع للمهدي الفاطمي، فولى مصالة يحيى بن إدريس فاساً، كما ولى موسى بن أبي العافية ابن عم مصالة على سائر بلاد المغرب(١).

وبذلك امتدّ نفوذ الفاطميين إلى بلاد الأدارسة، وصار المغرب الأقصى في ملك العبيديين، ولما عاد مصالة إلى فاس عام 309هـ حرّض موسى بن أبي العافية على يحيى بن إدريس، فقبض عليه، وأخذ أمواله، ثم نفاه، ولكن ابن أبي العافية حبسه ولم يطلق سراحه إلا بعد عشرين سنة وتوفي في مدينة المهدية سنة 332هـ(٢).

وهكذا زالت دولة الأدارسة على يد موسى بن أبي العافية من ناحية، وعلى أيدي الفاطميين من ناحية أخرى، وأصبحت بلاد المغرب تحت حكم آل العافية، وأمر بنفي من تبقى من الأدارسة على قلعة بجبال الريف المغربي، تدعى بحجر النسر ليبدأ الأدارسة تاريخاً جديداً لهم(٣).

ولم يلبث أن عاد الأدارسة على مسرح الأحداث، ويرتبط دورهم هنا بالصراع بين الخلافتين الأموية والفاطمية على المغرب الأقصى، كما أن بعض الأدارسة ويدعون بالحموديين استطاعوا أن يصلوا إلى كرسي الخلافة في قرطبة، عندما اضطرب أمر بني أمية في مطلع القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي(٤).

أرى أن من الأسباب الرئيسية التي أدت إلى قيام دولة الأدارسة ما يلي:

١. ملاحقة الدولة العباسيّة الرئيسة للطالبيين المطالبين بحقهم في الخلافة.
٢. الوصول إلى ملجأ آمن للتبشير بمذهبهم لآل بيت رسول الله (ص) بعيداً عن الخلافة العباسيّة.
٣. البعد المكاني سهّل للطالبيين إقامة دولتهم.
٤. ضغط العباسيّين والتنكيل بالطالبيين.

- المبادئ التي نادوا بهـــــا :

كان السواد الأعظم من المسلمين يرون أن بني هاشم أحق بالأمر من بني أمية، لأن بني هاشم آل بيت النبي (ص) وعشيرته الأقربون، وهم أهل العلم والدين والخصوصية الذين اجتباهم الله وأذهب عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً، وهم أحق بمنصب رسول الله (ص) من غيرهم، غير أن ذلك ليس بطريق الوجوب بل بطريق الأحقية والأولوية(٥).

---

(١) البكريّ، المغرب، ص 125؛ الناصريّ، الاستقصا، ج 1، ص182؛ ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص80؛ ابن خلدون، العبر، ج4، ص16؛ ابن الخطيب، أعما الأعلام، ج3، ص202-210.

(٢) البكريّ، المغرب، ص125؛ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص 80؛ ابن خلدون، العبر، ج4، ص16؛ وانظر: زغلول، تاريخ المغرب، ج2، ص455-479.

(٣) البكريّ، المغرب، ص 125؛ ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص 80،81؛ ابن خلدون، العبر، ج 4، ص16؛ وانظر: زغلول، تاريخ المغرب، ج2، ص455-479.

(٤) كحيلة، المغرب، ص69.

(3) الناصريّ، الاستقصا، ج1، ص148.

ولما انقرضت دولة بني أمية سنة 132هـ، وجاءت دولة بني العباس، وصار الأمر إلى أبي جعفر المنصور، أظهر عداءه لآل البيت، خاصة وأن دعاة محمد بن عبدالله قد ظهروا بخراسان، فأمر المنصور عامله على المدينة رباح بن عثمان المري بحبس عبدالله بن الحسن ومن يقبض عليهم من آل الحسن بن علي بن أبي طالب، فحبس جماعة من بنيه وإخوته، وبني عمه قدروا بخمسة وأربعين، وسيقوا إلى العراق، وحبسوا حتى ماتوا في السجن، وأصبح يبحث عن محمد بن عبدالله (النفس الزكية) وأخيه إبراهيم؛ لأنهما لم يكونا من جملة من حبسوا[١].

وأصبح محمد (النفس الزكية) يدعو الناس إلى بيعته، وقد بايعوه[٢].

واستفتى أهل المدينة الإمام مالكاً في الخروج مع محمد بن عبدالله، وذكروا في أنهم قد بايعوا أبا جعفر المنصور، فأفتى لهم مالك بأن بيعتهم للمنصور كانت إكراهاً، ولهذا فإن الناس قد قاموا ببيعة محمد النفس الزكية[٣].

ونستدل من موافقة الإمام مالك على بيعة محمد النفس الزكية أن المبادئ التي قامت عليها دولة الأدارسة هي مبادئ أهل السنة والجماعة.

وكان شيعة علي بن أبي طالب يوجبون الخلافة لبنيه دون سواهم، ويزعمون أن ذلك كان بوصية النبي (ص) لعلي، وهذه الوصية لم تثبت عند أهل السنة[٤].

كان بنو علي كثيراً ما يثورون في البلاد شرقاً وغرباً، طالبين حقهم في الخلافة، منازعين فيها لبني أمية أولا، ثم لبني العباس من بعدهم ثانياً، إلى أن جاء عبدالله بن الحسن السبط وكان من سادة أهل البيت، وكان له عدة أولاد منهم محمد النفس الزكية، وإبراهيم، ويحيى، وسليمان، وإدريس[٥].

ولما انهارت دولة بني أمية أيام آخر خلفائهم مروان (الحمار) اجتمع أهل البيت في المدينة فيمن يختارونه للخلافة، فوقع اختيارهم على محمد النفس الزكية، إذ قاموا بمبايعته للخلافة، وسلموه أمرهم، وحضر هذا العقد أبو جعفر المنصور الخليفة العباسيّ، وذلك قبل أن تنتقل الخلافة لبني العباس، فبايع للنفس الزكية فيمن بايع له من أهل البيت[٦].

ولهذا كان الإمام مالك بن أنس وأبو حنيفة يؤيدانه حين خرج وأظهر دعوته بالمدينة، ويرى كل منهما أن إمامته أصح من إمامة أبي جعفر المنصور لانعقاد هذه البيعة أولا، وكان أبو حنيفة يقول بفضله، ويؤيد حقه ثانياً[٧].

إنَّ الدولة الإدريسية قد ظهرت فجأة دون تمهيد أو دعاية سابقة كتلك التي مهدت لقيام الدولة العباسيّة من قبل، والدولة الفاطمية من بعد أو حتى بالنسبة لإمامة تاهرت الرستمية، وبناء على ذلك فهي لم تقم حسب مبادئ سياسية أو دينية معينة، بل قامت على أكتاف رجل واحد يمثل هيبة الأسرة العلوية القديمة كما يمثل مناقب أهل البيت[٨].

---

(4) المصدر نفسه، ج1، ص149.
(5) المصدر نفسه، ج1، ص150.
(6) الناصريّ، الاستقصا، ج1، ص150.
(5) الناصريّ، الاستقصا، ج1، ص148.
(1) المصدر نفسه، ج1، ص148-149.
(2) المصدر نفسه، ج1، ص149؛ وانظر: السنوسيّ، الدرر السنية، ص64.
(3) المصدر نفسه، ج1، ص149.
(٨) المصدر نفسه، ج1، ص148؛ وانظر: زغلول، تاريخ المغرب، ج2، ص423.

إن دولة الأدارسة قد قامت تحت شعار الإسلام، وكانت تسعى منذ البداية للاستقلال عن الدولة العباسيّة تحت مبدأ أحقية الطالبيين بالخلافة من أبناء عمومتهم بني العباس(١).

وكان ذلك دافع الإمام إدريس، بل إن إدريس لم يكن يقصد بالعمل على ظهور الروح الاستقلالية بين العرب، الذين هو من أشرافهم وأهاليهم وبين البربر، الذين قامت على أكتافهم دولته(٢).

قامت الدولة الإدريسية في المغرب الأقصى على أساس أنها دولة علوية هاشمية طالبية(٣)، وأنه من الخطأ القول إنها كانت دولة شيعية؛ لأن مؤسسها من آل البيت النبوي(٤). النبويّ(٤).

والحقيقة أن الأدارسة رغم علويتهم وطالبيتهم، بل وهاشميتهم لم يكونوا أبداً شيعة، بل كانوا على مذهب السنة والجماعة، ولا يعرفون شيئاً عن الآراء الشيعية التي شاعت على أيام الفاطميين 297-365هـ/909-975م(٥).

إن الدولة الإدريسية، رغم انتمائها إلى آل البيت العلوي الحسني، لم تكن دولة شيعية بالمعنى المتداول، إذ كان لمذهب مالك حضوره الواضح في هذه الدولة، وإدريس الأول يقول عن مالك (نحن أحق باتباع مذهبه وقراءة كتبه)، وذهب بعض أهل العلم إلى أن دولة إدريس كانت دولة زيدية، وللإمام إدريس بن عبدالله رسالة تعد في أدبيات المذهب الزيدي، والمعروف أن هذا المذهب هو أقرب مذاهب الشيعة إلى مذهب أهل السنة.

ولم يعرف الأدارسة في بلادهم المغربية غير الفقه السني المالكي، ومن المعروف تاريخياً وإسلامياً أن آل البيت جميعاً بطوائفهم لم يكونوا شيعة لأحد، بل أن الشيعة كانوا من أنصارهم(٦).

فالدولة الإدريسية التي قامت على يد مؤسسها الأول إدريس بن عبدالله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم، كانت دولة علوية طالبية هاشمية. وهي أول تجربة نجح فيها آل البيت في إمامة دولة كبيرة لأنفسهم(٧).

والأحداث توضح ذلك إذ ان إدريس الأول عندما وصل مع مولاه راشد إلى طنجة ثم إلى مدينة وليلي لم يصل مع قوة عسكرية تفرضه، كما قامت الدولة العباسيّة مثلاً، والملاحظ أن الدولة الإدريسية لم تدخل على الناس بمكر، أو دهاء، وأساليب غير واضحة.

ومن المؤكد أن مذهب مالك بن أنس قد دخل في عهد الأدارسة بفضل الأندلسيين والمغاربة، أما في الأندلس نفسها فقد أدخله يحيى بن يحيى الليثي الذي درس على مالك،

---

(١) الناصريّ، الاستقصا، ج 1، ص148؛ وانظر: زغلول، تاريخ المغرب، ج 2، ص423؛ الغنيمي، عبد الفتاح مقلد، موسوعة تاريخ المغرب العربي، مكتبة مدبولي،القاهرة، ط1، 1994م، ج1، ص245-246.

(٢) زغلول، تاريخ المغرب، ج2، ص423؛ الغنيمي، موسوعة، ج1، ص245.

(٣) الغنيمي، موسوعة، ج1، ص245.

(٤) كحيلة، المغرب، ص69؛ الغنيمي، موسوعة، ج1، ص245.

(٥) الناصريّ، الاستقصا، ج 1، ص 150؛ وانظر: كحيلة، المغرب، ص 69؛ الغنيمي، موسوعة، ج 1، ص245.

(٦) الناصريّ، الاستقصا، ج1، ص150؛ وانظر: مؤنس، تاريخ المغرب، م1، ص373.

(٧) الناصريّ، الاستقصا، ج1، ص150-151؛ وانظر: مؤنس، تاريخ المغرب، م1، ص373.

وهو بربري من طنجة، قوي نفوذه لدى بني أمية في الأندلس أواخر القرن الثاني حتى أصبح تعيين القضاة بمشورته[١].

يقول ابن أبي زرع في روض القرطاس: (أن إدريس بن عبدالله الحسني (الإمام الثاني لدولة الأدارسة)، كان راوياً لحديث النبي (ص)، عارفاً بالفقه، والسنة، والحلال، والحرام، وفصول الأحكام)[٢].

وعندما أخذ راشد البيعة لإدريس بن إدريس الأول سنة 188هـ، صعد إدريس المنبر، وخطب بالناس في يوم الجمعة 7 ربيع الأول 188هـ، وكان عمره آنذاك إحدى عشرة سنة، إذ ركز في خطبته على التمسك بكتاب الله، وسنة نبيه (ص)، وآل بيته[٣].

وتذكر عدة مصادر من جهة أخرى أن أحد قضاة إدريس الثاني وهو عامر بن سعدي بن محمد القيسي كان قد تلقى دراسته على يد كل من: مالك، وأبي سفيان الثوري[٤].

لقد اهتم مؤسس الدولة الإدريسية بالسنة، كأحد المبادئ التي قامت عليها دولة الأدارسة، ولإثارة عاطفة السكان المغاربة حتى يتجاوبوا مع الدعوة الجديدة[٥].

ومن المبادئ الأخرى التي كانت الأساس في قيام الدولة الإدريسية نذكر العدل والمساواة، والأمان، وتنفيذ الوعد، وعدم نقض العهود، والمحافظة على أهل البيت، وعدم تعطيل الحدود، وتنفيذها، وعدم سفك الدماء، والمحافظة على الإسلام[٦].

وكان إدريس الأول إمام من أئمة أهل السنة، وأنه هو وإخوته كانوا أبعد الناس عن التشيع[٧].

وأرى أن إدريس الأول كان سنياً، ودليل ذلك دفاعه عن حق آل البيت في الخلافة، ولكن الظروف اقتضت أن يساير قبيلة أوربة البربرية في اعتزالها، ولو كان إدريس قد تبنى الزيدية ولو ظاهرياً فالزيدية من أكثر الفرق الإسلامية اعتدالاً، باعتراف أهل السنة أنها أقرب إليهم من جميع الفرق الإمامية، لأنهم يوجبون الإمامة بالانتخاب لا بالنص، ولا يقولون بعصمة الإمام، ويجيزون تقديم المفضول على الأفضل، ويأخذ أكثرهم بالفقه الحنفي.

وقد يكون إدريس زيدياً من الوجهة السياسية لا الدينية، ولأسباب تتعلق ببناء واستقلال دولته دولة الأدارسة.

فكان إدريس الثاني ملازماً للحق، ولا ينحرف عن السنة، فألف الناس منه ذلك حتى عمهم الهناء، وأمنوا الجور، فكان يأخذ الجزية، وزكاة الأموال على منهاج الحق، ثم يصرف ذلك إلى مستحقيه[٨].

وقد انتشرت المبادئ الإدريسية السنية في المغرب، وخاصة في فاس، وتلمسان، وبسرعة كبيرة.

---

(١) حركات، إبراهيم، المغرب عبر التاريخ، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، 2000م، ص115.
(5) ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص25.
(6) المصدر نفسه، ص25.
(٤) المصدر نفسه، ص35، 38؛ وانظر: السنوسيّ، الدرر السنية، ص62.
(٥) حركات، المغرب، ج1، ص116.
(٦) حركات، المغرب، ج1، ص114.
(٧) المرجع نفسه، ج1، ص 116-117.
(1) السنوسيّ، الدرر السنية، ص86.

وما بناء مدينة فاس إلا تأكيد على هيبة وسلطان الدولة الإدريسية في المغرب، هذا العمل الإنساني الحضاري الذي يمثل رسالة الأدارسة في بلاد المغرب الأقصى، وقد قام إدريس الثاني بغزو بلاد المصامدة، وأخضع قبائلهم، ووصل في غزوهم إلى بلاد السوس الأقصى، إذ أخضع مدينة نفيس [١]، وإن دلَّ ذلك على شيء فإنما يدل على سرعة انتشار مبادئ دولة الأدارسة التي قامت عليها.

وعندما أراد إدريس الثاني الشروع ببناء مدينة فاس سنة 191هـ رفع يديه بالدعاء وقال: (اللهم اجعلها دار علم وفقه يتلى بها كتابك، وتقام بها حدودك، واجعل أهلها مستمسكين بالسنة والجماعة ما أبقيتها)[٢].

ويورد ابن أبي زرع في(روض القرطاس) حديثاً يرويه أبو هريرة عن النبي (ص) إذ يقول (ص): (ستكون مدينة تسمى فاس، أهلها أهل المغرب قبلة وأكثرهم صلاة، أهلها على السنة والجماعة، ومنهاج الحق، ولا يزالون متمسكين به، لا يضرهم من خالفهم، يدفع الله عنهم ما يكرهون إلى يوم القيامة)[٣].

ويكفي ذلك للاستدلال على أن الدولة الإدريسية دولة سنية وليست شيعية أو غير ذلك.

قامت دولة الأدارسة على نظام الوراثة إذ خلف يحيى بن محمد أخاه علياً، وكان أقدر ملوك الأدارسة، وأبعدهم ذكراً، وأوسعهم ملكاً، إذ شهدت فاس في عصره القصير ازدهاراً في العمران من حمامات، وفنادق، وبنيت الأرباض، ورحل إليها الناس من الثغور البعيدة. وتوفي وخلفه ابنه يحيى ابن يحيى، ولكنه حاد عن أهل السنة ومبادئ آل البيت، وكان ماجناً، محباً للشراب، معجباً بالنساء، فأساء السيرة، وخالف طريق سلفه، إذ راود إحدى النساء وكانت جارية من بنات اليهود، على نفسها، فثارت عليه العامة وعلى رأسهم عبد الرحمن بن أبي سهل الجذامي فأخرجوه من عدوة القرويين إلى عدوة الأندلسيين، وقد توارى بهذه العدوة إلى أن توفي[٤].

وقد بلغ خبر وفاة يحيى بن يحيى بن إدريس صاحب الريف، واستدعاه أهل الدولة من العرب، والبربر، والموالي، فقدم إلى فاس، ودخلها، وبايعه أهلها بالإمامة، وخطب له بمنابر أعمال المغرب، وقد انتقلت الإمامة من بني محمد بن إدريس إلى بني عمر بن إدريس، إلى أن ثار عليه عبد الرزاق الفهري الخارجي الصفري، الذي زحف إليه من جبل مديونه وقامت حرب بينهما أدت إلى فرار علي إلى بلاد أوربة، واستولى عبد الرزاق على عدوة الأندلسيين ولم يستطع الاستيلاء على عدوة القرويين، وولى أهالي عدوة القرويين يحيى بن القاسم المعروف بالعدام، حتى قتله ربيع بن سليمان سنة 292هـ/905م[٥].

ولما قتل يحيى بن القاسم خلفه يحيى بن إدريس بن عمر سنة 292هـ، وكان يحيى هذا أعلى أبناء إدريس ملكاً، وأعظمهم سلطاناً، وكان فقيها، عارفاً بالحديث، ولم يزل يحيى قائماً

---

(١) البكريّ، المغرب، ص123؛ ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص28، 29،30؛ وانظر: زغلول، تاريخ المغرب، ج2، ص454.

(3) ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص36.

(4) ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص37.

(٤) الناصريّ، الاستقصا، ج 1، ص178؛ وانظر: مؤنس، تاريخ المغرب، م 1، ص 389؛ سالم، تاريخ المغرب، ص 397.

(٥) الناصريّ، الاستقصا، ج 1، ص180؛ ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص 79–80؛ وانظر: سالم، تاريخ المغرب، ص 397؛ مؤنس، تاريخ المغرب، م1، ص 390.

بأمر الدولة حتى قدم مصالة بن حبوس الكتامي قائد عبيد الله المهدي سنة 305هـ/917م(١).

وفي هذا الشأن يقول ابن خلدون: (ولم يبلغ أحدٌ من الأدارسة مبلغه في الدولة والسلطان إلى أن طغى على ملكه عباب العبيديين (الفاطميين) الفاتحين بافريقية فأغرقه)(٢).

والتقى مصاله مع يحيى في منطقة مكناسة الزيتون، فهزمه مصالة، ودخل يحيى مدينة فاس مهزوماً، وكتب مبايعة عبيدالله الشيعي صاحب افريقية، وعاد مصاله إلى القيروان سنة 307هـ(٣).

وقبيل رحيل مصالة عين موسى بن أبي العافية المكناسي أميراً على منطقة تسول وبلاد تازه، وترك يحيى أميراً على فاس، وعندما عاد مصالة سنة 309هـ/921م قبض على يحيى وكبله بالأغلال، وأطلقه بعد عشرين سنة، ومات في المهدية سنة 322هـ/934م(٤).

وهكذا كما رأينا فإن الأمر استقر لموسى ابن أبي العافية، في المغرب الأقصى، وجزء كبير من المغرب الأوسط، وأصبحت هذه الأجزاء والنواحي تتحول شيئاً فشيئاً إلى المذهب الشيعي الفاطمي.

وقام ابن أبي العافية بحبس يحيى وأطلقه بعد عشرين سنة، ومات في المهدية سنة 332هـ/934م(٥).

وقام بعد يحيى الحسن بن محمد الحجام، واستولى على فاس، وبايعه الناس سنة 310هـ ولكنه مات سنة 313هـ/925م، فاستولى موسى بن أبي العافية على ملك الأدارسة ببلاد المغرب، وشايع الفاطميين في افريقية(٦).

وهكذا نرى أن دولة الأدارسة قد زالت على يد موسى بن أبي العافية من ناحية، وعلى أيدي الفاطميين من ناحية أخرى، وانتظم المغرب الأقصى إلى آل العافية.

وهكذا بقي حكم الأدارسة ببلاد المغرب قرنين وثلاث سنوات من 172-373هـ، وكانت الدولة الإدريسية أول دولة سنية المبادئ في تلك البلاد.

يلاحظ ممَّا سبق، أن الدولة الإدريسية، وعلى الرغم من انتمائها إلى آل البيت العلوي الحسني، فلم تكن دولة شيعية بالمعنى الشائع كما يظن بعض الناس، إذ كان لمذهب مالك

---

(١) الناصريّ، الاستقصا، ج 1، ص181؛ ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص 80؛ وانظر: سالم، تاريخ المغرب، ص 398؛ مؤنس، تاريخ المغرب، م1، ص 390.

(٢) ابن خلدون، العبر، ج4، ص 16.

(٣) ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص 80؛ وانظر: سالم، تاريخ المغرب، ص 398.

(٤) ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص 81؛ وانظر: سالم، تاريخ المغرب، ص 399؛ مؤنس، تاريخ المغرب، م1، ص 395 وما بعدها؛ حاجيات، عبد الحميد، تاريخ دولة الأدارسة من خلال كتاب (نظم الدرر القِقيان) لأبي عبدالله التنسي (ت 899هـ/1494م)، تح عبد الحميد حاجيات، مجلة التاريخ، النصف الثاني من سنة 1980م، المركز الوطني للدراسات التاريخية، الجزائر، 1980م، ص 40-41.

(٥) ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص 52-53، ابن خلدون، العبر، ج 4، ص16؛ وانظر: وفيقة، نشوء الدويلات، ص24.

(٦) البكريّ، المغرب، ج 1، ص125؛ ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص 53؛ ابن خلدون، العبر، ج 4، ص16؛ وانظر: زغلول، تاريخ المغرب، ج 2، ص478-479؛ حركات، المغرب، ص 101؛ وفيقة، نشوء الدويلات، ص24.

حضوره الواضح في هذه الدولة، وإدريس الأول نفسه يقول عن مالك (نحن أحق باتباع مذهبه، وقراءة كتابه).

وخلاصة القول: إن المبادئ التي قامت عليها دولة الأدارسة هي مبادئ أهل السنة والجماعة والعدل والمساواة وحسن المعاملة، والفضل، وإقامة الحق، وإقامة حدود الله والتقوى، وقد نهجوا في حكمهم نهج الشورى، ولم يرهقوا رعاياهم بجبايات ثقيلة، كما أن الأدارسة قد عاشوا حياة بسيطة بعيدة عن الترف، ولم تكن لهم عصبية تسندهم، ولا أجناد مرتزقة يعتزون بهم، واختلطوا بأهل البلاد من البربر وغيرهم، وحاصروهم، حتى انتشر نسلهم، وما زال أحفادهم يحظون بمكانة عالية في نسيج المجتمع المغربي حتى هذا اليوم.

ومما يدل على أن دولة الأدارسة قامت على مبادئ أهل السنة والجماعة، أن إدريس الثاني عندما فرغ من بناء مدينة فاس خطب خطبة قال فيها: (اللهم انك تعلم أني ما اردت بناء هذه المدينة مباهاة، ولا مفاخرة، ولا سمعة، ولا مكابرة، وإنما أردت ببنائها أن تعبد بها ويتلى بها كتابك، وتقام بها حدودك، وشرائع دينك وسنة نبيك (ص) ما أبقيت الدنيا)[١].

- موقف السكان المحليين من دولة الأدارســـــة :

لم تكن لتقام دولة الأدارسة في المغرب الأقصى لو لم تقف قبائل البربر بقوة مع إدريس ابن عبدالله العلوي الذي سار مع مولاه راشد، وأسس دولته (172-177هـ/788-793م)[٢].

وكانت قبيلة أوْرَبَة البربرية مدت يد العون والتأييد عند تأسيس إدريس بن عبدالله لدولة الأدارسة[٣]، وعلى رأسها أميرها إسحق بن محمد الأوْرَبيّ[٤].

إن استقرار النفوذ العباسيّ في افريقية قد شجع على الهجرة إلى بلاد المغرب. ونرى أن استقرار النفوذ العباسيّ في افريقية شجع الهجرة إلى هذه البلاد وكانت مدداً مستمراً، إذ بالعرب الذين يصلون إلى المغرب الأقصى لا يكاد يستقر بهم المقام حتى يفكروا في العبور إلى الأندلس حتى تنتظرهم فرص مغرية للعمل والثراء[٥].

وهذا الاعتبار قلل كثافة العنصر العربي، وضيق الرقعة التي كان الإسلام منتشراً فيها لدى مجئ إدريس الأول واستقراره وعدم انتشار اللغة العربية (لغة القرآن بشكل واضح) وكلا الأمرين شكل مهمة صعبة لدولة الأدارسة[٦].

---

(1) ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص49.

(٢) الناصريّ، الاستقصا، ج1، ص154؛ ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص19؛ وانظر: السنوسيّ، الدرر السنية،، ص61-62؛ حسن، تاريخ الإسلام، ج2، ص224.

(٣) البكريّ، المغرب، ص118؛ مجهول، الاستبصار، ص194؛ الناصريّ، الاستقصا، ج1، ص68؛ وأنظر: حسن، تاريخ الإسلام، ج2، ص224.

(٤) الناصريّ، الاستقصا، ج1، ص154؛ ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص19؛ ابن خلدون، العبر، ج6، ص147؛ أنظر: حركات، المغرب، ص 97؛ زغلول، تاريخ المغرب، ج2، ص428؛ حسن، تاريخ الإسلام، ج2، 224.

(٥) العربي، دولة الأدارسة، ص 40؛ السعداني،عبد اللطيف، إدريس الإمام وباعث الدعوة، مجلة كلية الآداب، ع4-5، جامعة محمد بن عبدالله، فاس، المغرب، 1981-1982م، ص 18-19.

(٦) العربي، دولة الأدارسة، ص 40؛ السعداني، إدريس الإمام، ص 18-19.

ولذلك فقد عملت الدولة الإدريسية على نشر الإسلام في ربوع المغرب الأقصى حيث بنو سياستهم على الجهاد باللسان أولاً والدعاء إلى الله بالموعظة الحسنة والنصيحة، والحض على طاعة الله، والتوبة عن الذنوب بعد الإنابة والإقلاع، ونشر مبادئ الإسلام الأساسية كالحق والصدق والصبر والرحمة والرفق، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فإذا وصلوا إلى هذه المرحلة من نشر مبادئ الإسلام قاموا بالدعوة إلى مبادئهم وإظهار دعوتهم(١).

وقد ناصرت قبائل أوربة، ومغيلة، وصيدنه، وبعض القبائل البربرية الأخرى إدريس، وبايعته، وقوت من شوكته، وعملت على استتباب أمره، واستجابت لدعوته، وناصرت أهل البيت العلوي(٢)، وبذلك دخلت في طاعة إدريس بن عبدالله قبائل زواغة، وزناته، وزوارة، ولماية، وسدراته، وغياثه، ونفزه، ومكناسة، وغمارة، وقد أتاه الناس من كل حدب وصوب، لإعلان الطاعة والمناصرة للثائر العلوي الهاشمي إدريس بن عبدالله(٣).

منذ أن انطلق إدريس في رحلته إلى المغرب كان يهدف إلى الدعوة، وكان خائفاً يترقب، ينتقل في حيطة وحذر، وحفت به المخاطر، وقد وصف حاله قائلاً (واعلموا معاشر البربر أني أتيتكم وأنا المظلوم، الملهوف، الطريد، الشريد، الخائف، الموتور، الذي كثر واتره، وقل ناصره، وقتل أخوته، وأبوه، وجده، وأهلوه)(٤).

فكان هذا من الأسباب التي جعلت البربر يتعاطفون مع قضية المولى إدريس، ويرحبون به، ومن الأسباب الأخرى التي جعلت البربر يرحبون بالأدارسة في المغرب الدعوة إلى الله بالموعظة الحسنة، والمبادئ التي نادت بها دولة الأدارسة من الحض على طاعة الله، والتوبة عن الذنوب، والصبر، والرحمة، والصدق، والحق، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر وغيرها من المبادئ السمحة التي استمالت قلوب قبائل البربر.

ولمّا استقام أمر مؤسس الدولة الإدريسية أقام جيشاً عظيماً من مناصريه من القبائل البربرية، ومنها: زناتة، وأوْرَبَة، وصنهاجة، وهوارة، وغيرهم(٥).

وخرج إدريس بن عبدالله غازياً إلى بلاد تامسنا، ثم إلى بلاد تادلا (قرب تلمسان وفاس)، وفتح معاقلها، وحصونها، وكان أكثر سكان هذه البلاد من برغواطه من المجوس والنصرانية، وقد أسلموا على يديه طوعاً وكرهاً، وهدم معاقلهم، وحصونهم، وما زال يدعو إلى الإسلام، ويقنع الناس بقضية أهل البيت العلوي(٦).

---

(١) حسن، تاريخ الإسلام، ج2، ص 224؛ السعداني، إدريس الإمام، ص 18.

(٢) الناصريّ، الاستقصا، ج1، ص155؛ ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص20؛ ابن خلدون، العبر، ج4، ص12، ج6، ص147،: أنظر: السنوسيّ، الدرر السنية، ص62.

(٣) الناصريّ، الاستقصا، ج1، ص155؛ ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص20؛ ابن خلدون، العبر، ج4، ص12؛ ج6، ص147؛ وانظر: السنوسيّ، الدرر السنية، ص62.

(٤) الناصريّ، الاستقصا، ج1، ص153؛ ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص18–19.

(٥) الناصريّ، الاستقصا، ج1، ص156؛ ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص20؛ ابن خلدون، العبر، ج6، ص149؛ وانظر: السنوسيّ، الدرر السنية، ص 62؛ سالم، تاريخ المغرب، ص 383؛ وفيقة، نشوء الدويلات، ص21.

(٦) ياقوت، معجم البلدان، ج 2، ص 5–6؛ الناصريّ، الاستقصا، ج 1، ص 156؛ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ص 192؛ ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص20؛ ابن خلدون، العبر، ج6، ص149.

وقد أقام إدريس بن عبدالله في تلمسان إلى سنة 174هـ/790م ثم عاد إلى وليلي، ومر أثناء عودته بمنطة تازا، إذ أطاعته قبائلها، وكملت له الإمارة(١).

وعاد إلى مدينة وليلي منتصراً، فدخلها في أواخر سنة 172هـ، وأقام بها خلال شهر محرم أول سنة 173هـ ريثما استراح الناس، ثم خرج غازياً على من بقي من قبائل البربر بالمغرب على دين المجوسية مثل برغواطة، والنصرانية، ولم يزل يحاصرهم في حصونهم حتى دخلوا الإسلام طوعاً وكرهاً(٢).

وكانت البلاد التي غزاها كثيرة الحصون فندلاوة، وحصون مديونة وقلاع غياثة وبلاد فازاز ثم عاد إلى مدينة وليلي، فدخلها منتصف جماد الآخرة من سنة 173هـ(٣).

وكان إدريس بن عبدالله يسعى لتوسيع نطاق دولته، ومد نفوذه السياسي، وإطواء القبائل تحت رايته، وكان يسعى من خلال تأسيس الجيش الذي عوّل عليه الكثير لتحقيق الهدف الأول من دعوته وهو تأسيس قواعد الدولة على أساس إسلامي صحيح، ولإزالة ما علق بالإسلام من شوائب، وبدع، وخرافات، وشعوذة، وخزعبلات، التي لا زال البربر يؤمنون بها(٤).

وكانت وجهة حملته الأولى إلى الجنوب والشرق من جهة تامسنا، وتضم قبائل شتى، منها: برغواطة، ومطماطة، وبنو تسلت، وبنو يعمران، وغيرها من القبائل، ثم بلاد تادلا ففتح إدريس حصونها، ومعاقل قبائل شالة، وفندلاوة، وبهلوانه، ومديونه، ورجع بجيشه إلى وليلي أواخر سنة 172هـ/30أيار789م(٥).

وأخذ راشد البيعة له من جميع قبائل المغرب فبايعوه كما بايعوا أباه من قبله، وكانت بيعته في جامع وليلي يوم الجمعة شهر ربيع الأول 181هـ/الموافق العاشر من شهر آذار عام 802م، وكان عمره أحد عشر عاماً وخمسة أشهر(٦).

إن انتساب إدريس الثاني إلى بيت النبوة وآل البيت والأسرة العلوية، وصفاته الخلقية إذ كان يتصف بالتقوى، وحسن التربية، والصلاح، وإيثار العدل، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، كل ذلك كان له دوره في إيجاد المناصرين والمؤيدين له(٧).

وأدى ذلك إلى استقبال الأعداد الكبيرة من الداخلين في طاعته، والمتلقين لدعوته من عرب افريقية والأندلس (من القيسية، والأزد، ومدلج، وبني يحصب، والصدف في نحو خمسمائة رجل)(١).

---

(١) ابن عذاري، البيان، ج 1، ص84؛ ابن الابار، الحلة السيراء، ج 1، ص100، أنظر: العربيّ، دولة الأدارسة، ص65؛ سالم، تاريخ المغرب، ص285؛ وفيقة، نشوء الدويلات، ص22.

(7) الناصريّ، الاستقصا، ج1، ص156؛ ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص21؛ وانظر: السنوسيّ، الدرر السنية، ص63.

(1) الناصريّ، الاستقصا، ج1، ص156؛ ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص21؛ وانظر: السنوسيّ، الدرر السنية، ص63.

(٤) ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص7؛ وانظر: زغلول، تاريخ المغرب، ج2، ص434.

(٥) البكريّ، المغرب، ص135؛ وانظر: زغلول، تاريخ المغرب، ج1، ص431.

(٦) البكريّ، المغرب، ص 123؛ الناصريّ، الاستقصا، ج 1، ص161؛ ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص27؛ ابن خلدون، العبر، ج4، ص13؛ وانظر: زغلول، تاريخ المغرب، ج2، ص239.

(٧) ابن عذاري، البيان، ج 1، ص84؛ وانظر: السنوسيّ، الدرر السنية، ص 84؛ زغلول، تاريخ المغرب، ج2، ص441.

وكانت هناك أعداداً كبيرة من المناصرين لإدريس الثاني من المهاجرين العرب للأندلس وافريقية، ذلك لوجود اضطرابات في الأندلس وافريقية، الأمر الذي دفع الكثير من العرب إلى الهجرة إلى المغرب الأقصى حتى ضاقت بهم وليلي(٢).

لذلك قرر إدريس الثاني البحث عن مكان آخر غير وليلي حتى يتخذها مدينة له، ولخاصته، ولجيشه، ووجوه مملكته، ولذلك اتخذ مدينة فاس(٣).

وقد قام وزيره عمير بن مصعب الذي خرج سنة 191هـ/806م، ونجح في اختيار موقع فاس، إذ أنه قام بفحص الأرض وقربها من الماء، وكان الموقع فيه سكنى قبيلتي زواغه (بني الخير) وبنو يزغتن، وكل قبيلة منهما على ضفة من نهر فاس(٤).

وقام إدريس الثاني بالمصالحة بين القبيلتين، إذ كان بينهما حروب ونزاعات، ذلك أن بعض البربر في ذلك الموضع كانوا على ديانات اليهودية، والنصرانية، والمجوسية، وقام إدريس بإدخال هذه القبائل إلى الإسلام بعد أن كانوا أشتاتاً(٥).

أمَّا عن عناصر السكان في مدينة فاس عاصمة الأدارسة، فقد كانت تضم العرب القيسية، والأزد، والحفصيين والفرس على حد القيسية. أما صنهاجة ولواته ومصمودة، فقد كانت في مختلف الأحياء في المدينة(٦).

ومهما يكن من أمر، فإن الأدارسة استطاعوا نشر الإسلام، واللغة العربية، والحضارة العربية الإسلامية، في المغرب الأقصى، فكان الفضل لقادة الفتح العربي الأول معاوية بن حديج، وحسان بن النعمان الغساني، وواصل إدريس الأول دورهما حينما هرب من موقعة فخ المشهورة إلى مصر ثم إلى المغرب، وقد كان لانتمائه إلى البيت الهاشمي دوره في نشر الإسلام في المغرب الأقصى، إذ أن قبائل البربر ناصرت الأدارسة والذي استطاع من بناء دولته في المغرب الأقصى.

وعندما قسم محمد بن إدريس الذي تولى الحكم بعد والده إدريس بن إدريس الأول بلاد المغرب بين اخوته حدثت فتنة بين اخوانه، إذ خرج على محمد بن إدريس أخوه عيسى بمدينة آزمور ورفض طاعته، فكتب محمد إلى أخيه القاسم صاحب طنجة، بمحاربة عيسى فامتنع من ذلك(٧).

---

(١) الناصريّ، الاستقصا، ج1، ص163؛ ابن خلدون، العبر، ج4، ص13.

(٢) الناصريّ، الاستقصا، ج1، ص163؛ وانظر: السنوسيّ، الدرر السنية، ص85؛ زغلول، تاريخ المغرب، ج2، ص442.

(٣) الناصريّ، الاستقصا، ج1، ص164-165؛ وانظر: زغلول، تاريخ المغرب، ج2، ص445-446.

(٤) الناصريّ، الاستقصا، ج1، ص165؛ وانظر: زغلول، تاريخ المغرب، ج2، ص445-446.

(٥) الناصريّ، الاستقصا، ج1، ص165؛ وانظر: زغلول، تاريخ المغرب، ج2، ص445-446.

(٦) العربيّ، دولة الأدارسة، ص86.

(٧) الناصريّ، الاستقصا، ج1، ص173؛ ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص51.

ثم كتب محمد إلى أخيه عمر صاحب تيكساس بمحاربة عيسى، فأطاعه، وزحف إلى عيسى في قبائل البربر، وأمده محمد بألف فارس من زناته، فأوقع عمر بعيسى فهزمه، وطرده من عمله، فشكره محمد، وولاه حكم بلاد أخيه عمر(١).

ثم زحف عمر إلى القاسم، ونزل بظاهر طنجة، واستولى على ما بيد القاسم من بلاد فصار الريف البحري كله تحت سيطرة عمر من تيكساس، وبلاد غمارة إلى سبته ثم إلى طنجة ثم إلى أصيلا والعرايش، ثم على سلا، ثم إلى آزمور، وبلاد تامسنا (٢)، وظلت هذه البلاد تحت حكم عمر بن إدريس حتى وفاته سنة 220هـ(٣).

وعندما توفي محمد بن إدريس سنة 221هـ تولى الخلافة ابنه علي، وقد بايعه السكان وكان يلقب على (بحيدرة)، وكان عمره تسع سنين وأربعة أشهر، فقام الأولياء والحاشية من العرب والبربر بكفالته، وكانت أيامه أيام ازدهار للدولة الإدريسية، وكان السكان المحليون في عهده يعيشون في أمن ورخاء حتى وفاته سنة 234هـ(٤).

وتولى الخلافة بعده يحيى بن محمد بن إدريس، إذ امتد سلطانه، وعظمت دولته، وجاء الناس من الأندلس، وافريقية، وجميع بلاد المغرب(٥).

وفي عهد يحيى بن يحيى بن محمد حدثت فتنة، حين دخل على إحدى اليهوديات وهي في الحمام، حيث أشارت عليه زوجته عاتكة بنت علي بن عمر بن إدريس بالاختفاء بعدوة الأندلس، ريثما تسكت الفتنة، فمات من ليلته(٦).

وفي عهد علي بن عمر بن إدريس خرج عليه عبد الرزاق الفهري الخارجي، وكان من أهل وشقة من بلاد الأندلس قام بجبال بويبلان من أعمال مدينة فاس، إذ تبعه الكثير من البربر المؤيدين والمناصرين له، وقام عبد الرزاق ببناء قلعة بجوار بلاد مديونه أطلق عليها وشقه على اسم بلده في الأندلس(٧).

وكان عبد الرزاق قد زحف إلى قرية صفرون، فبايعه أهلها من البربر، وحصلت معركة بين علي بن عمرو وجماعة عبد الرزاق، ودخل عبد الرزاق مدينة فاس وامتنع أهل عدوة القرويين في فاس على تأييده(٨).

وكان أهل عدوة القرويين قد بعثوا إلى يحيى بن القاسم بن إدريس (المقدم)، إذ وصل إليهم، فبايعوه، وولوه على أنفسهم، وقاتل عبد الرزاق الخارجي حتى هزمه، وأخرجه من عدوة الأندلس، فدخلها وبايعه أهلها وجميع من بها من الأندلسيين، واستعمل يحيى بن القاسم على عدوة الأندلس ثعلبة بن محارب بن عبدالله من أهل الربض من شذونه، وعندما توفي ولى ابنه عبدالله(٩).

---

(١) الناصريّ، الاستقصا، ج1، ص173؛ ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص52.
(٢) الناصريّ، الاستقصا، ج1، ص173؛ ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص52.
(٣) الناصريّ، الاستقصا، ج1، ص173؛ ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص52.
(٤) الناصريّ، الاستقصا، ج1، ص174-175؛ ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص53.
(٥) الناصريّ، الاستقصا، ج1، ص175؛ ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص54.
(٦) الناصريّ، الاستقصا، ج1، ص178؛ ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص77.
(٧) الناصريّ، الاستقصا، ج1، ص179؛ ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص79.
(٨) الناصريّ، الاستقصا، ج1، ص179؛ ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص80.
(٩) الناصريّ، الاستقصا، ج1، ص180؛ ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص79.

وفي عهد يحيى بن القاسم بن إدريس في سنة 260هـ عمَّ القحط، والغلاء جميع بلاد الأندلس، والمغرب، وافريقية، ومصر، والحجاز حتى رحل الناس عن مكة إلى الشام، ثم كان بالمغرب والأندلس وباء عظيم مع غلاء الأسعار، إذ عدمت الأقوات، ومات الكثير من الناس وذلك سنة 285هـ(١).

وفي سنة 292هـ خرج ربيع بن سليمان لقتال يحيى بن القاسم بن إدريس فقتله(٢).

وفي عهد يحيى بن إدريس بن عمر 292هـ بايعه أهل عدوة فاس، وامتد حكمه على سائر بلاد المغرب، وخطب له على جميع منابر المغرب، وكان قوي السلطان، واوسع بني إدريس ملكاً، ولم يزل على حكم المغرب الأقصى إلى أن جاء مصالة بن حبوس المكناسي قائد عبيدالله الشيعي القائم بافريقية سنة 305هـ، وهزم على يد مصالة، إذ دخل مصالة مدينة فاس وحاصر يحي بن إدريس بن عمر إلى أن صالحه يحيى على مال وكتب بالبيعة لعبيد الله الشيعي صاحب افريقية، ولذلك ارتحل مصالة إلى القيروان(٣).

وكان مصالة قد عقد لابن عمه موسى بن أبي العافية على بقية بلاد المغرب، بعد أن ترك فاس ليحيى بن إدريس بن عمر، وبذلك صار المغرب في ملك العبيديي، وأصبحت دولة الأدارسة ضمن دولة العبيديين الفاطميين(٤).

إلا أن موسى بن أبي العافية حرض مصالة بن حبوس على يحيى بن إدريس بن عمر سنة 309هـ، فقام بتعذيب يحيى، وصادر أمواله، وممتلكاته، ثم نفاه إلى نواحي آصيلا، ثم قبض عليه موسى بعد ذلك وسجنه عشرين سنة بمدين الكاي(*)، ومات سنة 332هـ(٥).

وفي سنة 311هـ عاد المغرب الأقصى لحكم دولة الأدراسة، فقد ظهر الحسن الحجام(*) بن محمد بن القاسم بن إدريس، وخرج لقتال موسى بن أبي العافية، فالتقى به في منطقة تسمى فحص الزاد على مقربة من وادي المطاحن ما بين فاس وتازا، فأوقع الحجام بموسى، وقتل ألفين وثلاثمائة من جماعة موسى بينهم ابن موسى، واسمه منهال، وقتل من عسكر الحجام سبعمائة رجل، ثم عاود موسى الكرة، وانقض على عسكر الحجام، وتبع قواته حتى مدينة فاس.

إلا أن حامد بن حمدان الهمداني ندم على فعلته مع الحجام، وكره المجاهرة بسفك دماء آل البيت، وفك حامد قيد الحجام ليلاً، ورحل الحجام إلى عدوة الأندلس حتى توفي سنة 313هـ، وأراد موسى الانتقام من حامد الذي كان قد فرَّ إلى المهدية(٦).

وفي سنة 313هـ انقرضت دولة الأدارسة من فاس، وأصبح المغرب الأقصى تحت حكم العبيديين أصحاب افريقية والمروانيين من بني أمية حكام الأندلس(١).

---

(١) الناصريّ، الاستقصا، ج1، ص180-181.

(٢) ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص79-80.

(٣) الناصريّ، الاستقصا، ج1، ص182؛ ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص80.

(٤) الناصريّ، الاستقصا، ج1، ص183؛ ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص81.

(*) الكاي: أو الكاي، قلعة منيعة يظن أنها كانت بناحية جبالة حيث قبيلة جاية (سجاية) الحالية. أنظر: ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص81.

(٥) الناصريّ، الاستقصا، ج1، ص183؛ ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص81.

(*) الحجام: كان عامل الحسن الحجام حامد بن حمدان الهمداني ويقال له الأوربي قد غدر بالحسن الحجام حيث دخل عليه ليلاً في داره فقيده وأخذه إليه وأغلق المدينة في وجه جند الحجام وأخبر موسى بن أبي العافية بذلك. أنظر: الناصريّ، الاستقصا، ج1، ص185؛ ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص83.

(٦) الناصريّ، الاستقصا، ج1، ص185-186؛ ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص83.

واستولى موسى بن أبي العافية على جميع بلاد المغرب، وبايعته القبائل، وشيوخها، وأجلا جميع الأدارسة عن بلادهم وأخرجهم من ديارهم وملك مدينة أصيلا وشاله، ولجأوا إلى قلعة حجر النسر [*] واستولى موسى على تلمسان، ونكور [*]، وأصبح المغرب الأقصى بقبائله تحت حكمه، وسيطرته[٢].

▪ موقف الدولة العباسيّة من دولة الأدارســـــة :

كانت الغالبية العظمى من المسلمين ترى أن بني هاشم أحق بالخلافة من بني أمية، ذلك لأن بني هاشم هم آل بيت النبي (ص)، وعشيرته الأقربون، وهم أهل العلم، والدين، وتصديقاً لقول النبي (ص): (أن هذا الأمر في قريش لا يعاديهم أحد إلا كبه الله على وجهه ما أقاموا الدين)، وقال (ص) أيضاً: (لا يزال هذا الأمر في قريش ما بقي فيهم اثنان)[٣].

وبعد أن قامت الدولة العباسيّة، أراد العباسيّون أن تكون الخلافة مقصورة عليهم دون غيرهم من بني هاشم، وكان بنو علي بن أبي طالب ينازعون بني أمية وبني العباس في هذا الأمر (الخلافة)[٤].

وكان بنو علي (الطالبيون) يثورون في بعض المناطق ويدعون لانتزاع حقوقهم طالبين حقهم في الخلافة، ومنهم عبدالله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب[٥].

وقيام الدولة العباسيّة يعني أن الطالبيين سيزاولون ثوراتهم ضد الدولة العباسيّة، خاصة وأن أهل البيت في المدينة قد اختاروا محمد بن عبدالله بن الحسن (النفس الزكية)، وبايعوه بالخلافة[٦].

وقفت الدولة العباسيّة موقفاً عدائياً من قيام دولة الأدارسة في المغرب، ويرجع هذا العداء إلى بداية قيام الدولة العباسيّة سنة 132هــ، وذلك بعد القضاء على دولة بني أمية حيث استأثر العباسيّون بالحكم، واعتبروا الخلافة من حقهم وحدهم دون غيرهم من الطالبيين، الأمر الذي أدى إلى الخصومة والعداء بينهما.

وكان الخليفة العباسيّ المنصور (أول من أوقع الفتنة بين العباسيّين والطالبيين)، كما يقول السيوطي في كتابه تاريخ الخلفاء[٧].

---

(١) الناصريّ، الاستقصا، ج1، ص186؛ ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص83-84.

(*) قلعة حجر النسر: في إقليم تطوان في المغرب الأقصى. أنظر: ابن أبي زرع: روض القرطاس، ص84.

(*) نكور: مدينة مغربية قديمة تقع قرب فردي نكور وهي غير بعيدة عن منطقة الحسيمة. أنظر: ابن أبي زرع: روض القرطاس، ص84.

(٢) الناصريّ، الاستقصا، ج1، ص186-187؛ ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص83-84.

(٣) الناصريّ، الاستقصا، ج1، ص148،147.

(٤) المصدر نفسه، ج1، ص 148.

(٥) المصدر نفسه، ج1، ص 148.

(٦) المصدر نفسه، ج1، ص 148.

(٧) السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص209.

وفي سنة 145هـ قام جماعة من الطالبيين، وعلى رأسهم محمد (النفس الزكية) وأخوه إبراهيم بالخروج على الخليفة المنصور لكن المنصور استطاع القضاء عليهما. ومن إخوة محمد (النفس الزكية) كان إدريس الأول[١].

وخلال الفتنة بين الخليفة المنصور ومحمد (النفس الزكية) جرت مراسلات، إذ يقول ابن فضل العمري: (ودارت بينهم كتب بديعة في إقامة الحجج وكان المنصور فيها الألد الخصم، والأشد عقداً لا ينفصم)[٢].

وكان الخليفة المنصور يتحدث بمنطق القوة والسلطة، وأن العباسيّين هم أولى بالخلافة من الطالبيين، لأنهم أبناء عم الرسول (ص) وليس الذكر كالأنثى.

إذ أن الطالبيين استندوا في حجتهم على أنهم أبناء علي وفاطمة بنت الرسول. ومما جاء في أقوال محمد (النفس الزكية) في ذلك: (فأنا أحق بهذا الأمر منكم، وأنتم إنما وصلتم إليه بنا، فإن علياً كان الوصي وكان الإمام، فكيف ورثتم ولايته وولده أحياء؟)[٣].

واستمر العداء بين العباسيّين والطالبيين وأخذ يزداد من قبل العباسيّين الذين لاحقوا الطالبيين في مختلف الأماكن، سنة 169هـ، وفي عهد الخليفة الهادي خرج جماعة من الطالبيين في مكة والمدينة، وعلى رأسهم الحسين بن علي بن الحسن بن الحسين بن علي بن أبي طالب على الخليفة العباسيّ، الذي لم يتردد في القضاء عليهم، إذ استطاع القائد العباسيّ محمد بن سليمان من إلحاق الهزيمة بالحسين ومن معه من الطالبيين في موقعة فخ[٤].

وقد ظهر محمد بن عبدالله بن الحسن (النفس الزكية) في المدينة في جمادى الآخرة سنة 145هـ، وقد بايعه خلق كثير وتسمى بالمهدي، وعندما علم أبو جعفر المنصور بظهوره وجه إليه عيسى بن موسى الهادي بجيش عدده أربعة آلاف، وحصلت معركة بينهما في ظاهر المدينة، فقتل محمد النفس الزكية في رمضان سنة 145هـ[٥].

---

(١) ابن الأثير، الكامل، ج5، ص201؛ الناصريّ، الاستقصا، ج1، ص164-165؛ ابن الطقطقي، الفخري، ص164-165؛ ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص4؛ السنوسيّ، الدرر السنية، ص66.

(٢) ابن فضل الله العمري، شهاب الدين أحمد بن يحيى، مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، تح محمد عبد القادر خريسات وحسن محمد النابورة، مركز زايد للتراث والتاريخ، الإمارات العربيّة المتحدة، ط1، 2004م، ج24، ص11.

(٣) الطبريّ، تاريخ، ج 4، ص430-431؛ ابن كثير، الحافظ أبو الفداء، البداية والنهاية، تح أحمد بعد الوهاب فتيح، دار الحديث، القاهرة، (د.ت) ج 10، ص92-93،؛ ابن خلدون، العبر، ج 4، ص4؛ مسكويه، أبو علي أحمد بن محمد، كتاب تجارب الأمم، تح أبو القاسم إمامي، دار سروش، طهران، إيران، 2001م، ج1، ص394-400.

(٤) الطبريّ، الرسل والملوك، ج 4، ص596؛ ابن الأثير، الكامل، ج 5، ص75؛ ابن خلدون، العبر، ج 4، ص13؛ ابن الآبار، الحلة السيراء، ج 1، ص 51؛ اليافعي، عبدالله بن سعد بن علي، مرآة الجنان وعبرة اليقظان، علق عليه خليل المنصور، دار الكتب العلمية، بيروت، 1997م، ج1، ص278. وسيشار إليه فيما بعد: اليافعي، مرآة الجنان؛ ابن عذاري، البيان، ج1، ص21.

(3) المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين بن علي، التنبيه والإشراف، دار ومكتبة الهلال، بيروت، 1981م، ص311. وسيشار إليه فيما بعد: المسعودي، التنبيه؛ ابن الأثير، الكامل، ج 5، ص201؛ الناصريّ، الاستقصا، ج1، ص164-165؛ ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص 4؛ وانظر: السنوسيّ، الدرر السنية، ص66.

(4) المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين بن علي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، تح محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت، 1988م، ج 3، ص 336-337؛ ياقوت، معجم البلدان، ج 4، ص327-328؛ ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص16.

وكان ظهور أخيه إبراهيم في البصرة، إذ سيطر على البصرة، والأهواز، وواسط، وكثر

مؤيدوه، وقد حدثت معركة بينه وبين جيش المنصور بقيادة عيسى بن موسى في مكان يقال له باخمرى، إلا أن إبراهيم قتل، وانهزم من كان معه(١).

وكان أهل المدينة قد استفتوا الإمام مالك بن أنس حول تأييد محمد (النفس الزكية) في ثورته ومبايعتهم لأبي جعفر المنصور، فأجابهم الإمام مالك بأن بيعة أبي جعفر المنصور كانت بالإكراه، وأن محمد بن عبدالله هو أحق منه، ذلك أنه من آل البيت الهاشمي، وهو أحق بالخلافة من غيره(٢).

وكان أبو جعفر المنصور قد أعدّ جيشاً لحرب محمد بن عبدالله، وكان وقائد جيشه ابن عمه عيسى بن موسى العباسيّ، وقد قدمت جيوش العباسيّين المدينة وحدثت معركة بينهما(٣).

وقام محمد (النفس الزكية) فأحرق الديون التي كان مسجلاً فيها أسماء من بايعه، وقتل رباح بن عثمان عامل العباسيّين على المدينة، ثم عاد إلى المعركة، إذ تفرق عنه أصحابه ولم يبق إلا ثلاثمائة رجل، فقاتل حتى قتل(٤).

أما إبراهيم بن عبدالله أخو محمد (النفس الزكية)، فقد قتل على يد عيسى بن موسى في منطقة بخمرة في ذي القعدة سنة 145هـ، وكان مؤيدوه يزيدون عن مائة ألف(٥).

وكانت موقعة (فخ) شديدة على الطالبيين، إذ قتل الكثير منهم، وبقيت أجسادهم على الأرض حتى أكلت منها السباع والطير، وفي ذلك يقول الشاعر(٦):

فلا بكيت على الحسيـــــن بعولة وعلى الحســـــن
وعلى ابن عاتكة الـــــذي وارده ليس بذي كفـــــن
تركوا بفخ غـــــــدوة في غير منزلة الوطـــــن

وكان من ضمن الذين خرجوا مع (الحسن بن علي) على الخليفة الهادي يحيى بن عبدالله، وإدريس بن عبدالله. وقد نجا من موقعة فخ، أما يحيى فقد هرب إلى بلاد الديلم، وجمع حوله كثيراً من الأنصار، إلا أن الخليفة العباسيّ هارون الرشيد أرسل إليه بالأموال

---

(1) المسعودي، التنبيه ص311.
(2) الناصريّ، الاستقصا، ج1، ص150.
(3) المصدر نفسه، ج1، ص150.
(4) المصدر نفسه، ج1، ص150؛ ابن الأثير، الكامل، ج5، ص9-10.
(5) الناصريّ، الاستقصا، ج1، ص151؛ ابن الأثير، الكامل، ج5، ص19؛ ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص16.
(6) ابن الطقطقي، الفخري، ص164.

والهدايا، وطلب منه الرجوع إلى طاعة الخليفة، ونجحت جهود هارون الرشيد في ذلك، إذ رجع يحيى إلى بغداد، ومات فيها[١].

إلا أن هارون الرشيد وخوفاً من امتداد سلطانه وازدياد أعداد مؤيديه ومناصريه قد بعث إليه جيشاً وعدده خمسون ألفاً بقيادة أحد قواده واسمه الفضل بن يحيى، إذ كان الرشيد قد ولاه جرجان، وطبرستان والري، وكان الفضل بن يحيى قد رهبه ورغبه في الصلح، وطلب يحيى الصلح والأمان من الرشيد، وأن يشهد عليه القضاة، والفقهاء، ومشايخ بني هاشم، وقدم إليه بن عبدالله، فاستقبله الرشيد بداية الأمر، ثم أمر بحبسه ثم قتله[٢].

أما إدريس بن عبدالله فقد تمكن بعد النجاة من موقعة (فخ) من الهرب، والوصول سراً إلى بلاد المغرب الأقصى، إذ استطاع أن يؤسس دولة الأدارسة التي وقفت لها الدولة العباسيّة بالمرصاد، وحاولت القضاء عليها قبل أن تنمو وتكبر[٣].

ولم تكن موقعة (فخ) سنة 169هـ نهاية مطاردة وملاحقة العباسيّين للطالبيين، بل استمرت هذه الملاحقة للذين هربوا، وكان من أشهرهم إدريس بن عبدالله الذي استطاع مع مولاه راشد الوصول إلى مصر، وكان الوالي فيها علي بن سليمان العباسيّ، وتمكن إدريس بمساعدة صاحب البريد في مصر ويدعى (واضح) وهو مولى صالح بن المنصور، من التخفي والفرار إلى أرض المغرب، إذ نزل مدينة وليلي من أعمال طنجة حيث أسس دولة الأدارسة[٤].

ونلاحظ مما سبق أن إدريس بن عبدالله لم يكن يصل إلى أرض المغرب ويقيم دولة الأدارسة إلا بعد السرية والحذر الشديد، وتوافر الأعوان، مثل: والي مصر العباسيّ الذي سهل خروجه[٥]، وكذلك صاحب البريد واضح الذي حمله إلى أرض المغرب [٦] وذلك خوفاً من سلطة الخليفة العباسيّ[٧].

ولم تترك الخلافة العباسيّة ممثلة بالخليفة من ساعد إدريس بن عبدالله مؤسس دولة الأدارسة، فقد جاء في رواية الكندي أن الخليفة هارون أمر بعزل والي مصر العباسيّ علي بن سليمان لمساعدته إدريس في الهرب[٨].

---

(7) ابن الأثير، الكامل، ج 5، ص291؛ ابن الآبار، الحلة السيراء، ج 1، ص51؛ ابن خلدون، العبر، ج 4، ص12.

(1) ابن الطقطقي، الفخري، ص193.

(2) ابن عذاري، البيان، ج 1، ص82؛ ابن حزم، جمهرة، ص 49؛ ابن فضل العمري، مسالك الأبصار، ج24، ص51.

(٤) ابن خياط، تاريخ خليفة، ج 2، ص478؛ الطبريّ، تاريخ، ج4، ص597-598؛ المقدسي، شمس الدين أبي عبدالله محمد بن أحمد بن بكر المعروف بالبشاري، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، دار الكتب العلمية، بيروت، 2003م، ص242-244. وسيشار إليه فيما بعد: المقدسي، أحسن التقاسيم؛ الرقيق القيروانيّ، تاريخ افريقية، ص215؛ ابن الآبار، الحلة السيراء، ج1، ص50؛ الناصريّ، الاستقصا، ج1، ص152.

(٥) ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص94؛ الكندي، الولاة، ص131-132؛ زغلول، تاريخ المغرب، ج2، ص425.

(٦) الرقيق القيروانيّ، تاريخ افريقية، ص 215؛ابن الآبار، الحلة السيرا، ج 1، ص54-52؛ ابن خلدون، العبر، ج4، ص12.

(٧) السنوسيّ، الدرر السنية، ص10.

(٨) الكندي، الولاة، ص132.

وكذلك لم يفلت صاحب بريد مصر (واضح) من العقاب، لأنه ساعد إدريس أيضاً، فقد تم قتله وصلبه سنة 169هـ/785م، بناءً على أمر الخليفة الهادي [١]، وفي رواية أخرى أن الذي أمر بقتله هو الخليفة هارون الرشيد [٢]، يصف الطبري واضحاً فيقول: (وكان رافضياً خبيثاً)[٣].

وبعد رحلة طويلة من الهرب والخوف ترك إدريس بن عبدالله مدينة وليلى _قاعدة جبل زهرون في أراضي طنجة_ وحل على صاحبها الأمير إسحق بن محمد بن عبد المجيد زعيم قبيلة أوربة[٤].

وبعد أن عرف إدريس بنفسه، وأنه من أهل البيت، وما هي دعوته أكرمه اسحق، وأحسن ضيافته، وجمع البربر حوله بعد أن أخبرهم بحاله، يقول ابن خلدون: (واجتمعت عليه _إدريس_ زواغة، ولواته، وسراته، ونفراوة، ولمناسة، وغماره، وكافة بربر المغرب، فبايعوه، واعترفوا به)[٥]، وفي ذلك يقول إدريس حين بايعو[٦]:

وأصبحت في شماء بالمغرب عند من ... يذبون عني بالمنقفة الملـــــــــــد

دعوني لما ضيعتني أقاربـــــــــــي ... وما اطرحوا ما كان أوصى به جدي

ونلاحظ من خلال هذين البيتين كيف يمدح إدريس بن عباالله من وقف معه من البربر في المغرب، وكانت مبايعة إدريس بن عبدالله من قبائل البربر قد نمت في شهر رمضان سنة 172هـ[٧].

وقد خطب في الناس يوم البيعة، ومما قاله: (أيها الناس، لا تمدوا الأعناق إلى غيرنا، فإن الذي تجدونه من الحق عندنا لا تجدونه عند غيرنا)[٨].

وكانت هذه البيعة لإدريس بن عبدالله سنة 172هـ تعني قيام دولة جديدة مستقلة عن دولة الخلافة العباسيّة التي سوف تبادلها العداء، إذ أن الأدارسة قد قطعوا صلاتهم تماماً بالخلافة، وهذا يعني أن لا تذكر أسماء الخلفاء العباسيّين في الخطبة، ولا على الشكة، ولا يكون للعباسيين، دور في تقليد وتفويض أمور الدولة الناشئة[٩].

---

(١) ابن الأثير، الكامل، ج6، ص93.

(٢) الطبريّ، تاريخ، ج 4، ص60؛ المقدسي، أحسن التقاسيم، ص 195-196؛ ابن الأثير، الكامل، ج 6، ص93؛ ابن الأبار، الحلة السيراء، ج1، ص52.

(٣) الطبريّ، تاريخ، ج4، ص599.

(٤) البكريّ، المغرب، ج1، ص116؛ ابن عذاري، البيان، ج1، ص83؛ ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص19؛ ابن خلدون، العبر، ج4، ص24؛ المقريزي، أبي العباس تقي الدين أحمد بن علي، المقفى الكبير، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1991م، ج2، ص10. وسيشار إليه فيما بعد: المقريزي، المقفى.

(٥) ابن خلدون، العبر، ج 6، ص147؛ وانظر: الإدريسي، الدرر السنية، ص 62؛ مؤنس، تاريخ المغرب، وفيقة، نشوء الدويلات، بروكلمان، تاريخ الشعوب، ص98-99.

(٦) النويريّ، نهاية الإرب، ج24، ص51؛ المقريزي، المقفى، ج2، ص11.

(٧) ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص20؛ ابن خلدون، العبر، ج4، ص24.

(٨) ابن خلدون، العبر، ج4، ص24.

(٩) ابن خلدون، العبر، ج 4، ص 24؛ وانظر:اسماعيل، الأدارسة، ص 103؛ الغنيمي، موسوعة تاريخ المغرب، ص270.

وبعد أن تمت مبايعة إدريس من قبائل البربر وجد في تلك المبايعة والنصرة القوة اللازمة للسير في تحقيق أهدافه، والتي تتفق ورسالة آل البيت وهي العمل على نشر الإسلام، والجهاد في سبيل الله، فزحف بجيشه نحو القبائل التي كانت تدين بالمجوسية، والنصرانية، واليهودية، واستطاع أن يفتح مدنهم مثل: تامسنا، وشالا، وتادلا، ثم وصل إلى مدينة تلمسان، إذ استسلم أميرها، ودخل في طاعة إدريس بن عبدالله، أبقى إدريس أمير تلمسان السابق عليها، ثم رجع إلى وليلي[١].

وعندما علم هارون الرشيد بمبايعة قبائل المغرب لإدريس بن عبدالله وفتح البلاد، وخوفاً من أن يتعاظم أمر إدريس ومحبة الناس له وخاصة وأنه من آل البيت الهاشمي، وأنه قد أسس جيشاً وعزم إدريس على فتح افريقة، الأمر الذي شكل قلقاً لدى الخليفة العباسيّ هارون الرشيد وانه إذا لم يتدارك هذا الأمر فإنه سيكون له عواقب وخيمة في المستقبل، ولذلك فإن الرشيد قرر الانتقام من إدريس بن عبدالله[٢].

ومن خلال الفتوحات والانتصارات التي حققها إدريس استطاع أن يصل إلى بلاد السوس الأقصى حيث كان أول من وصل إليها[٣].

ولم تكن انتصارات ونجاحات إدريس بن عبدالله في المغرب غائبة عن الدولة العباسيّة، إذ تذكر بعض الروايات التاريخية أن الخليفة هارون الرشيد فكر في إرسال جيش إلى المغرب لمحاربة إدريس بن عبدالله والقضاء عليه، لكن بُعد المسافة حال دون ذلك[٤].

واستشار الخليفة هارون الرشيد يحيى بن خالد البرمكي وكان من المقربين إليه في كيفية التخلص من إدريس فأشار عليه يحيى بن خالد برجل داهية ماكر وهو (سليمان بن جرير) المعروف بن (الشماخ)، واستطاع سليمان أن يصل إلى إدريس، ويتقرب منه، حتى أصبح من أقرب الناس إليه ولما وجد الفرصة مناسبة قام بقتله بواسطة السم، كما ذكرت كثير من المصادر ذلك[٥].

---

(١)ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص 20–21؛ ابن خلدون، العبر، ج 4، ص12؛ وانظر: مؤنس، تاريخ المغرب، ص372.

(٢) الناصريّ، الاستقصا، ج1، ص157؛ ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص21؛ وانظر: السنوسيّ، الدرر السنية، ص64؛ كحيلة، المغرب، ص64.

(٣) المقدسي، أحسن التقاسيم، ص223؛ وانظر: وفيقة، نشوء الدويلات، ص22.

(٤) ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص 22؛ الناصريّ، الاستقصاء، ج 1، ص67–68؛ وانظر: حسن، تاريخ الإسلام، ج2، ص224؛ وفيقة، نشوء الدويلات، ص22.

(٥) الطبريّ، تاريخ، ج4، ص599؛ الرقيق القيروانيّ، تاريخ افريقية، ص 180؛ ابن الآبار، الحلة السيراء، ج1، ص52؛ ابن عذاري، البيان، ج 1، ص210؛ ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص 22–23؛ الذهبي، شمس الدين أبو عبدالله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز، العبر في خبر من عبر، تح صلاح الدين المنجد وفؤاد سيد، سلسلة التراث العربيّ، الكويت، 1960م، ج1، ص256؛ ؛ المقريزي، المقفى، ج2، ص12.

وكانت وفاة إدريس سنة سبع وسبعين ومائة [١]، وفي رواية أخرى سنة خمس وسبعين ومائة[٢]، وقال المقريزي: (وكان وفاة إدريس سنة تسع وستين ومائة)[٣].

وبعد أن أنجز الشماخ مهمته في اغتيال إدريس بن عبدالله، عرج على افريقية لإعلام حليف العباسيّين إبراهيم بن الأغلب بنجاح مهمته، وذلك بالقضاء على نواة الدولة الإدريسية إدريس بن عبدالله الحسني[٤].

وكان إبراهيم بن الأغلب قد كتب إلى الخليفة العباسيّ الرشيد يخبره بمقتل إدريس على يد سليمان بن جرير (الشماخ)، فقام الرشيد بتولية الشماخ بريد مصر، وكافأه على ذلك[٥].

وكان للأغالبة الدور الرئيس في محاولة القضاء على دولة الأدارسة، إذ كان الأغالبة يشهرون القدح في نسب الأدارسة، ويشككون به أمام الناس[٦].

إن عملية اغتيال مؤسس دولة الأدارسة في المغرب إدريس بن عبدالله، والتي تكاد تجمع المصادر التاريخية على دور الخليفة هارون الرشيد في ذلك، لدليل على الموقف العدائي الشديد الذي وقفته الدولة العباسيّة من دولة الأدارسة[٧].

ولقد دلت هذه المحاولة على متابعة الخليفة هارون الرشيد لما يجري من أحداث في الأجزاء البعيدة من الخلافة العباسيّة، وأن الخليفة لديه القدرة على الوصول إلى الأعداء، وهذا ما نلاحظه من الأبيات الشعرية التي قالها أنصار الخليفة من الشعراء[٨].

أتظن يا إدريس أنك مفلـــــت   كيد الخلافة أو يقيك فـــــرار

إن السيوف إذا انتقاها سخطــه   طالت وقصر دونها الأعمـــار

ملك كأن الموت يتبع أمـــــره   حتى تخال تطيعه الأقـــــدار

كانت الدولة العباسيّة تكافئ من يقف إلى جانبها ضد أعدائها، ومثال ذلك مكافأة الخليفة هارون الرشيد للشماخ بتوليته بريد مصر[٩].

أما في ولاية افريقية فقد كانت هناك شخصية بارزة لعبت دوراً في تثبيت سلطة العباسيّين في افريقية، والوقوف ضد أعداء الخليفة، كان هناك إبراهيم بن الأغلب الذي شارك

---

(١) ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص10.

(٢) البكريّ، المغرب، ص121؛ ابن خلدون، العبر، ج4، ص25.

(٣) المقريزي، المقفى، ج2، ص10؛ وقال محقق كتاب المقفى: بل سنة 175.

(٤) البكريّ، المغرب، ص121؛ الرقيق القيروانيّ، تاريخ افريقية، ص215.

(٥) الرقيق القيروانيّ، تاريخ افريقية، ص215.

(٦) ابن خلدون، العبر، ج4، ص13-14.

(٧) محمود إسماعيل، الأدراسة، ص109-110؛ الغنيمي، موسوعة تاريخ المغرب، ص270-271.

(٨) الطبريّ، تاريخ، ج4، ص60؛ ابن فضل الله العمري، مسالك الأمصار، ج 24، ص51-52 المقريزي، المقفى، ج2، ص12.

(٩) الرقيق القيروانيّ، تاريخ افريقية، ص180؛ ابن الآبار، الحلة السيراء، ج1، ص199.

الدولة العباسيّة في عدائها لدولة الأدارسة، إذ ذكرت الروايات التاريخية أن إبراهيم بن الأغلب شارك وسهل علمية اغتيال إدريس بن عبدالله(١).

ولم تنته دولة الأدارسة بمقتل مؤسسها إدريس بن عبدالله، الذي لم يكن له أولاد حيث قتل، بل استمرت هذه الدولة تحت رعاية وإدارة راشد مولى إدريس، حتى وضعت زوجة إدريس (كنثرة) طفلها الذي يُسمى أيضاً (إدريس)(٢).

ولم يتوقف عداء الدولة العباسيّة في الكيد والنيل من الأدارسة، إذ قام والي افريقية (إبراهيم بن الأغلب) وهو من أنصار الخليفة هارون الرشيد، قام إبراهيم بدفع الأموال، وإغراء بعض الأعوان حتى تمكنوا من قتل راشد، وكان ذلك سنة 186هـ/802م(٣).

وفي ذلك يقول إبراهيم بن الأغلب(٤).

ألم ترني بالكيد أوديت راشـــــــداً	وإني بأخرى لابن إدريس راصـــــــد
تناوله عزمي على نـــــــأي داره	بمختومة في طيثن المكـــــــــــــائد

وكان محمد بن مقاتل العكي والي افريقية قد كتب إلى هارون الرشيد أنه هو الذي قتل راشد، إلا أن صاحب البريد كتب إلى الرشيد حقيقة الأمر، وولى عليها افريقية، إذ كان ابن الأغلب قبل ذلك عاملاً لابن العكي على بعض كور افريقية(٥).

وبعد مقتل إدريس بن عبدالله مؤسس دولة الأدارسة حلَّ مكانه في الحكم ابنه إدريس الثاني، والذي تمت مبايعته من قبل قبائل البربر، وقد تمتع إدريس الثاني بصفات حميدة جعلت الناس يقبلون عليه مثل العلم، والفقه، والحلم، والعدل، وحب الجهاد، ونشر الإسلام، وحسن التربية، والأخلاق الحسنة(٦).

وبعد موت إدريس بن عبدالله مؤسس دولة الأدارسة أصبح راشد مولى إدريس هو الذي يسير أمور الدولة، إذ أن إدريس عندما توفي لم يترك ولداً إلا حملاً من زوجته البربرية (كنزة)، وقد عمل إدريس الثاني على تثبيت أركان دولته، وإرساء دعائم حكمه، إذ قام ببناء مدينة فاس، والتي أصبحت مركزاً لدولة الأدارسة، ومنارة للعلم، فقد هاجر إليها كثير من العرب والبربر من افريقية والأندلس(٧).

---

(١) الرقيق القيروانيّ، تاريخ افريقية، ص 180؛ المقدسي، أحسن التقاسيم، ص 195؛ وانظر:إسماعيل، الأدارسة، ص116.

(٢) ابن الأبار، الحلة السيراء، ج1، ص199؛ ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص24.

(٣) ابن الأبار، الحلة السيراء، ج 1، ص186؛ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ج 3، ص197؛ ابن خلدون، العبر، ج4، ص13.

(٤) الرقيق القيروانيّ، تاريخ افريقية، ص178؛ ابن فضل العمري، مسالك الأمصار، ج24، ص52.

(٥) الرقيق القيروانيّ، تاريخ افريقية، ص216؛ الناصريّ، الاستقصا، ج1، ص162؛ ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص28؛ وانظر: السنوسيّ، الدرر السنية، ص84-85.

(٦) ابن عذاري، البيان، ج1، ص84؛ ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص25.

(٧) ياقوت، معجم البلدان، ج4، ص230-231؛ ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص25.

وفي الوقت الذي كان إدريس الثاني يعمد على تقوية دولته وتدعيم أركانها كانت الدولة العباسيّة بالتعاون مع حليفها في افريقية إبراهيم بن الأغلب ينشرون الأكاذيب حول صحة نسب إدريس بن إدريس بن عبدالله[١].

وكانت الدعاية العباسيّة وبمساعدة الأغالبة في افريقية قد عملت على نشر الطعن والقدح في نسب إدريس بن إدريس بن عبدالله، إذ قامت هذه الدعاية على أن إدريس الثاني ليس ابن إدريس بن عبدالله، بل هو ابن راشد مولى إدريس. وقد دافع ابن خلدون عن نسب إدريس بن إدريس، ومما قاله في هذا المقام: (ومثل هذا وأبعد منه كثيراً ما يتناجى به الطاعنون في نسب إدريس بن إدريس بن عبدالله .. الإمام بعد أبيه بالمغرب الأقصى .. قبحهم الله وأبعدهم؛ ما أجهلهم! كلا، والله، إنما صدرت هذه الكلمات من بني العباس أقتالهم ومن بني الأغلب عمالهم.. فليس في المغرب فيما نعلمه من أهل هذا البيت الكريم من يبلغ في صراحة نسبه ووضوحه مبالغ أعقاب إدريس هذا من آل الحسن)[٢].

وفي عهد إدريس الثاني (177-213هـ/793-828م) ذكر بعض الروايات إلى أن إبراهيم بن الأغلب حاول بنفسه التوجه لمحاربة إدريس الثاني، ولكنه رغب عن ذلك نزولاً عند رغبة مستشاريه[٣].

وكذلك قام إبراهيم بن الأغلب باستمالة أحد الرجال المقربين من إدريس، وهو بهلول بن عبد الواحد المطغري، الذي كان معظماً في قدمه، وقدم له إبراهيم بن الأغلب الأموال حتى جعله ينقلب ويتمرد على إدريس الثاني، وقد حاول إدريس إرجاع بهلول إلى الطاعة وعدم الانخداع والسير وراء الأغالبة[٤].

ولما كان إبراهيم بن الأغلب حليفاً للدولة العباسيّة ووقف معها ضد الأدارسة، إذ عمل على إضعاف هذه الدولة، كتب إليه إدريس الثاني أن يكف عن ذلك، ويتذكر قرابة إدريس من الرسول الكريم[٥].

وكان زيادة الله بن الأغلب حليف الدولة العباسيّة يحاول كأسلافه الانقضاض على الدولة الإدريسية، وحينما أراد منه المأمون الدعاء لعبدالله بن طاهر بن الحسين وهو ابن من قتل الأمين، قال زيادة الله في هذا الشأن: (قد علم أمير المؤمنين طاعتي له، وطاعة آبائي لآبائه، وتقدم سلفي في دعوتهم، ثم يأمرني الآن للدعاء لعبد خزاعة) ويقصد عبدالله بن طاهر بن الحسين، إذ رفض ذلك، وقد بعث إلى الخليفة العباسيّ المأمون بكيس فيه ألف دينار مضروبة باسم إدريس الحسني، يعلمه ما هو عليه من فتنة المغرب، ومجاهدة الأدارسة الطالبيين[٦].

---

(١) ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد بن خلدون المغربي، المقدمة، تح حامد أحمد الطاهر، دار الفجر الحديث، القاهرة، 2004م، ص55. وسيشار إليه فيما بعد: ابن خلدون، المقدمة.

(٢) ابن خلدون، العبر، ص55، 56، 57.

(٣) الرقيق القيروانيّ، تاريخ افريقية، ص225؛ ابن الأثير، الكامل، ج6، ص79.

(٤) الرقيق القيروانيّ، تاريخ افريقية، ص225؛ ابن كثير، الكامل، ج6، ص156؛ ابن الآبار، الحلة السيراء، ج1، ص55.

(٥) ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ج3، ص14-15؛ ابن خلدون، العبر، ج4، 196.

(٦) ابن الآبار، الحلة السيراء، ج1، ص165.

استمرت حالة العداء بين الدولة الإدريسية وبين الأغالبة حلفاء العباسيّين حتى بعد وفاة إدريس الثاني سنة 213هـ/828م، وتذكر بعض الروايات أن الأمير زيادة الله بن الأغلب هو الذي احتال حتى قتل(١).

وقيل أنه مات بدس السم، ولم يتعدَّ عمره السادسة والثلاثين، وما مات إلا بعد أن تمكن من تثبيت دعائم دولة الأدارسة(٢).

لقد أوكل العباسيّون إلى الأغالبة مهمة مراقبة دولة الأدارسة، وانصرف العباسيّون إلى أمور الشرق، كما انصرف الأدارسة إلى إتمام نشر الإسلام، واللغة العربية، ونشر الحضارة والآداب العربية الإسلامية في المغرب الأقصى، الذي كان من أهم أهدافهم، الأمر الذي جعل البربر يقبلون عليها ويتعلمونها، وقد ساعدت اللغة العربية في توحيد عناصر مجتمع الأدارسة(٣).

وبعد وفاة (إدريس الثاني)، بن إدريس بن عبدالله، والذي كان له الدور الكبير في تثبيت قواعد دولة الأدارسة في المغرب، تولى الحكم من بعده ولده الأكبر محمد بن إدريس، ولم يحافظ (محمد) على وحدة وسلامة الدولة، بل عمل على تقسيمها بين إخوته، وجعل كل واحد منهم على جزء من البلاد.

وقد أدى تقسيم الدولة الإدريسية بين أبناء إدريس الثاني إلى ظهور الخصام والصراع بينهم، ودبَّ الفساد والضعف في جسم الدولة، والتي أصبحت مع تقادم السنين تزداد ضعفاً وهزلاً، حتى طمع بها الأعداء وما لبثت أن تغلب عليها الفاطميون، ودخلوا فاساً عاصمة ملكهم(٤).

فقد غزا الفاطميون بقيادة (مصالة بن حبوس) قائد عبيد الله المهدي بلاد الأدارسة، والتقى مصالة مع أمير الأدارسة يحيى بن إدريس في معركة انهزم فيها يحيى، وتحصن في مدينة فاس، إذ حاصره مصالة، ثم اضطر يحيى إلى الصلح على أن يؤدي بعض الأموال، ويبايع للمهدي العبيديّ، وبعد أن انسحب مصالة ترك مكانه ابن عمه موسى بن أبي العافية الذي سيطر على بلاد المغرب، وقبض على يحيى بن إدريس، وسجنه مدة تصل إلى عشرين سنة ثم أطلقه، حيث مات يحيى بن إدريس في مدينة المهدية سنة 327هـ(٥).

وهكذا زالت دولة الأدارسة على يد الفاطميين، إذ أصبحت بلادهم تحت حكم ابن أبي العافية، والذي قام بنفي من تبقى من الأدارسة إلى قلعة حجر النسر(٦).

وكان الأمويون في الأندلس يتدخلون في شؤون المغرب، ولهم دور في سقوط دولة الأدارسة، إذ أن العداء بين الأمويين والعباسيّين قديم، وكان حكام الأندلس من الأمويين

---

(١) ابن الأبار، الحلة السيراء، ج1، ص54؛ وانظر: إسماعيل، الأغالبة، ص112.

(٢) ابن الأبار، الحلة السيراء، ج1، ص54؛ ابن فضل العمري، مسالك الأبصار، ج24، ص52.

(٣) الطالبي، الدولة الأغلبية، ص411-412؛ موسوعة تاريخ المغرب العربيّ، ج2، ص323.

(٤) ابن خلدون، العبر، ج4، ص16؛ وانظر: إسماعيل، الأدارسة، ص127.

(٥) البكريّ، المغرب، ص125؛ ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص53؛ ابن خلدون، العبر، ج4، ص16؛

(٦) ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص 53؛ ابن خلدون، العبر، ج 4، ص16؛ وانظر: زغلول، تاريخ المغرب، ج2، ص455-479.

يخافون تسرب نفوذ الفاطميين إلى بلادهم، إذ يرون في ذلك تمهيداً لاستيلاء الفاطميين على الأندلس، وهذا ما جعل الأمير (عبد الرحمن الناصر) الأموي يعلن نفسه خليفة؛ لمواجهة خطر الفاطميين الشيعة، وهو يمثل السنة(١).

ولقد حرص الأمويون على أن يجعلوا من بعض مدن شمال المغرب مراكز عسكرية، تسمح لهم بمنع كل تسرب عسكري من المغرب إلى الأندلس، وقد استولى الأمويون على مدينة سبتة من يد الموالين للأدارسة، وقد أرسل الخليفة الأموي عبد الرحمن الناصر، وكذلك المنصور بن أبي عامر الجيوش للمغرب لصد الخطر عن الأندلس(٢).

وبعد سقوط دولة الأدارسة في المغرب الأقصى خرج بعض من أفراد هذه الأسرة إلى الأندلس، وقد استطاع علي بن حمود الإدريسي وأخوه القاسم من الاستيلاء على الحكم في قرطبة، وقتل الخليفة الأموي سليمان بن الحكم الملقب بـــ (المستعين) سنة 407هـــ(٣).

وتلقب علي بن حمود بالناصر، ثم جاء بعده أخوه القاسم، والذي تلقب بالمأمون، ولم يدم حكم أسرة بني حمود في قرطبة ومدنا أخرى من الأندلس طويلاً، إذ دب النزاع والخلاف بين أفراد هذه الأسرة، الأمر الذي تمكن الأمويون من طردهم من قرطبة، واسترجاع الحكم فيها بمساعدة البربر(٤).

ومن المزايا التي امتاز بها حكام أسرة بني حمود أنهم قد تلقبوا بألقاب الخلافة العباسيّة، إذ قال المقرّي في نفح الطيب: (وقد كان بنو حمود من ولد إدريس العلوي الذين توثبوا على الخلافة أثناء الدولة المروانية بالأندلس يتعاظمون، ويأخذون أنفسهم بما يأخذها خلفاء بني العباس)(٥).

ومن الحكايات الطريفة التي تدل على تعاظم وكبرياء حكام أسرة بني حمود ما جاء عن الشاعر ابن مقانا الأشبوني، والذي مدح الخليفة الحمودي الملقب بـــ (العالي) بقصيدته النونية المشهورة والتي أولها:

البرق لا ئح من أندريـــــــــــن ... ذرفت عيناك بالماء المعيـــــــــــــن

حتى وصل الشاعر إلى قولـــه:

أنظرونا نقتبس من نوركـــــــــم ... أنه من نور رب العالميـــــــــــــن

(١) ابن أبي زرع، روض القرطاس، ج1، ص116-137؛ وانظر: حركات، إبراهيم ، ج1، ص106.

(٢) حركات، إبراهيم ، ج1، ص106.

(٣) ابن الأثير، الكامل، ج8، ص98-99؛ ابن فضل الله العمري، مسالك الأبصار، ج24، ص55؛ المقري، أحمد بن محمد المقري التلمساني، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، علق عليه مريم قاسم الطويل، ويوسف علي الطويل، دار الكتب العلمية، بيروت، 1995م، ج1، ص411. وسيشار إليه فيما بعد: المقري، نفح الطيب.

(٤) ابن الأثير، الكامل، ج 8، ص 106؛ ابن فضل الله العمري، مسالك الأبصار، ج 24، ص56-63؛ المقري، نفح الطيب، ج1، 414-416.

(٥) المقري، نفح الطيب، ج1، ص206.

وعندما سمع الخليفة العالي هذا البيت كشف الحجاب وطلب من الشاعر أن ينظر إلى وجهه، وأجزل له العطاء(١).

نخلص مما سبق أن الدولة العباسيّة وقفت منذ البداية موقفاً معادياً من دولة الأدارسة، الذين هم أبناء عمومة للعباسيين هذا الموقف المعادي للأدارسة، ولم يستطيعوا القضاء على دولتهم، بل استمرت هذه الدولة مدة من الزمن حتى قضى عليها الفاطميون أعداء العباسيّين.

ومهما يكن الصراع بين العباسيّين والأدارسة فقد كان للأدارسة الدور الهام في نشر الإسلام في أجزاء كبيرة من المغرب، إذ يقول حسن إبراهيم: (وكان لانتسابهم إلى الرسول الكريم أثر كبير في توحيد القبائل المعادية، وتأييد الأهلين لهم، بعد أن كادت فتن الخوارج تحرق شعلهم، واستطاع المولى إدريس لأول مرة أن يوحّد بين إقليم السهول الساحلية (المغرب الأقصى)، وإقليم المراعي أي بين الحضارات القديمة، وإقليم البداوة، كما استطاع الأدارسة بفضل هذه الوحدة أن يوجهوا أنظارهم إلى حركة جهاد مقدس، بقصد إتمام نشر الإسلام في البلاد، ومحاربة العقائد الشاذة، والقضاء على بقايا اليهودية، والنصرانية بين قبائل المغرب)(٢).

---

(١) ابن بسام، أبو الحسن علي بن بسام الشنتريني، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، تح سالم مصطفى البدري، دار الكتب العلمية، بيروت، 1998م،ج2، ص467-468؛ المقري، نفح الطيب، ج 1، ص414-416؛ ابن سعيد، المغرب، ج1، ص413.

(٢) حسن إبراهيم، تاريخ الإسلام، ج2، ص184.